اللاماسو الحوري السوبارتي

Lamassu

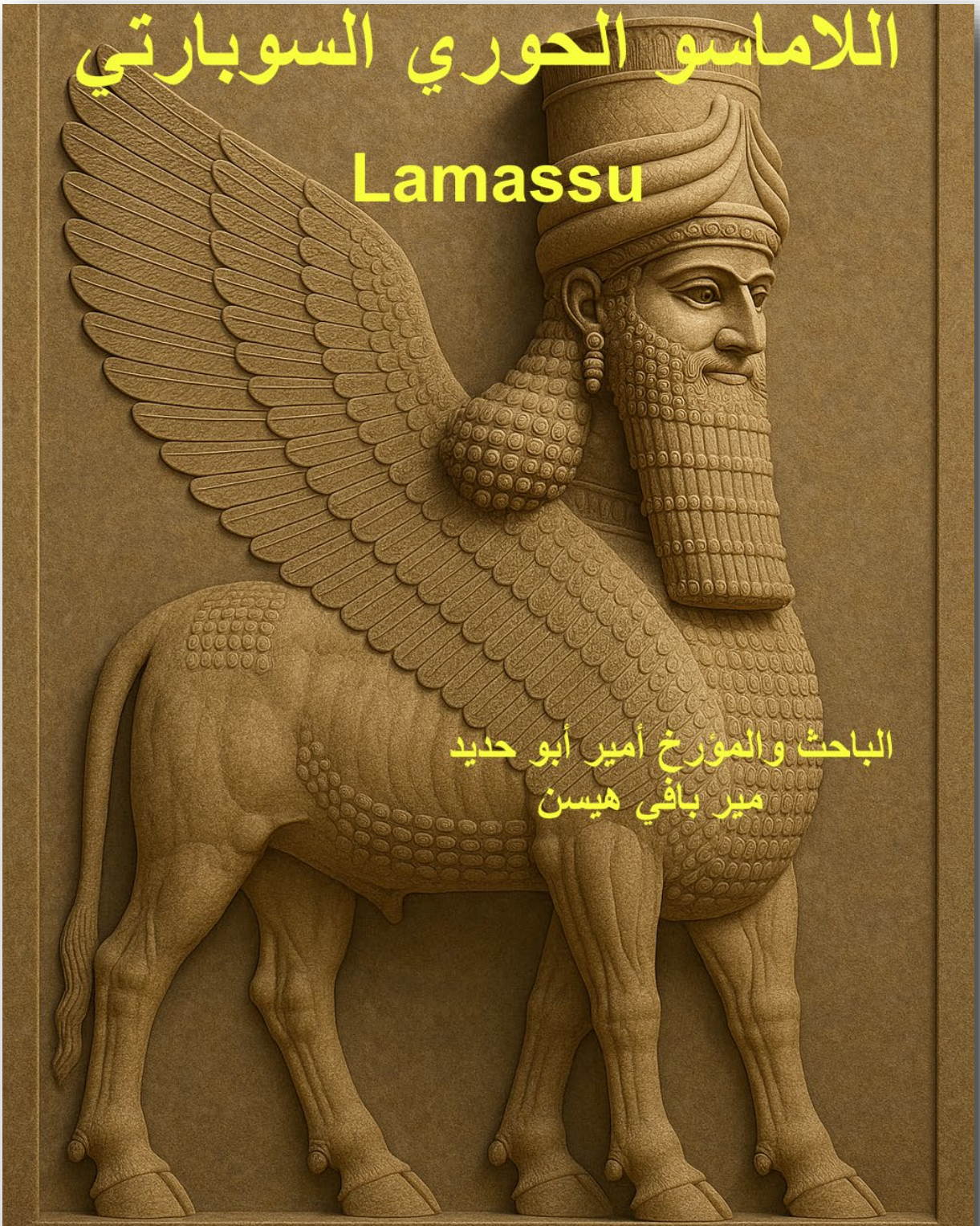

الباحث والمؤرخ أمير أبو حديد
مير بافي هيسن

الشعب الحوري السوبارتي كيف أخذت آثاراته ونسبت لشعوب آخرى

الاهداء:

إلى الضوء الذي لم يجرؤ الزمن على إطفائه الى الشعب الكوردي الحوري العظيم، ذلك الضوء المختبئ مثل قلبٍ قديم بين شقوق الحجارة، ينتظر قارئًا يقترب منه فيلمس الدفءَ الذي تركته الأرواح الأولى قبل أن تُسفِر الحروب عن غبارها الطويل. وإلى الحرف الذي خرج من يد إنسانٍ وحيد يكتب على صخرة مكسورة كأنه يرسم ظلًا لأحلامه، ثم أرسله في الريح ليحمله الزمن من جيلٍ إلى آخر كما تُحمل الأسرار النادرة بوقار لا يعرفه غير من اختبر صمت الحضارات. وإلى الذين مرّوا في التاريخ كعبور طيفٍ في ليلٍ ساكن، كرائحة بخورٍ معلّقة في هواء عمرٍ لم نشهده لكننا نحسّه في نبض الأرض كلما اقتربنا من حجرٍ لمسته يد الحوريين أو السوبارتيين. وإلى الذين لم يتركوا أسماءهم بل تركوا ظلالهم، والظلال حين تكون صادقة تصير أثقل من التماثيل وأكثر بقاءً من العروش. وإلى المدن التي لم تنطفئ مهما أطفأت الحروب أبوابها، إلى أوركيش التي تنفخ في التراب لينهض، ونوزي التي ترتّل أغنيتها في ألواح الطين، وواشوكاني حيث يرنّ الماء كجرسٍ خفي يدعو الذاكرة إلى اليقظة بعد زمنٍ طويل. وإلى الذين جعلوا من اللاماشا حارسًا للروح، ومن الجبل محرابًا، ومن الشمس كتابًا مفتوحًا لا يمزّقه أحد. وإلى الأرواح التي لم تُهزم بل غابت قليلًا لتمنحنا فرصة الإصغاء للأرض حين تتكلم بلا صوت. إلى الحضور الذي يستيقظ في الغياب، وإلى الغياب الذي يترك أثره كالندى، وإلى الحلم الذي لا يشيخ مهما تغيّرت أسماء الملوك وأوجه الإمبراطوريات. إليهم جميعًا، إلى من علّمونا أن الحقيقة لا تُقال بل تُكتشَف... أهدي هذا الكتاب.

الباحث والمؤرخ أمير أبو حديد (مير بافي هيسن)

المقدمة : لا بد من تقديم الحقيقة التي غابت على معظم شعوب المنطقة ومن خلال بحوثاتي التي دامت لأكثر من 30 عام أستطعت أن أثبت بأن هنالك تزوير قد تم في تاريخ المنطقة وقد جلبت بعض المصادر الأجنبية التي تثبت صحة كلامي وبأن هنالك سرقات للآثارات الشعب الحوري السوبارتي الكوردي

وأخذ حضاراته ونسبهم لهم على سبيل المثال الثور المجنح لاماسو لو سالنا اية شخص في العالم يقول بانه للآشوريين القدماء مع العلم الآشوريين القدماء قد أخذوه عن الشعب الحوري السوبارتي ومع تلاعب بسيط في الشكل وتغيير الرأس أصبح لهم ! وسوف أقدم الدلائل بشكل واضح حتي يستطيع القارىء أن يفهم الشرح وهو بشكل بسيط وغير معقد.

سأقدّم لكم شرحًا دقيقًا ومفصّلًا عن موضوع سرقة الآشوريين القدماء للـ لاماسو من الشعب الحوري، مع توضيح الخلفية التاريخية والتطور الرمزي، وبصور توضيحية لتسهيل الفهم.وأيضا ماهي سياساتهم تجاه الشعوب التي استعمروها وكيف تم دفن حضاراتهم وبناء حضارة جديدة اسمونها الحضارة الآشورية!

أولًا: من هم الحوريون (الخوريون)؟(الكورد)

- شعب جبلي قديم من سكان جبال زاغروس وطوروس.
- ظهروا قبل الآشوريين بقرون طويلة (الألف الثالث قبل الميلاد).
- امتلكوا حضارة دينية غنية مرتبطة بالشمس، الجبال، والحيوانات المقدسة.

- من أهم ممالكهم: ميتاني – أوركيش – سوبارتو.

ثانيًا: الارتباط الحوري بالحيوانات المقدسة

قبل ظهور اللاماسو عند الآشوريين، كان لدى الحوريين رموز حيوانية – شمسية يجمعها:

1. حيوان قوي (ثور أو أسد)
2. جناحان كرمز للحماية والسماء
3. علاقة مباشرة بعبادة الشمس الإلهية

هذه العناصر ظهرت في الفن الحوري منذ الألف الثالث والثاني قبل الميلاد.

ثالثًا: كيف أخذ الآشوريون هذا الرمز؟

1. مرحلة التأثر المباشر

عندما توسّع الآشوريون في شمال بلاد الرافدين، دخلوا مدنًا حورية مثل سوبارتو، أوركيش، نوارا، وخورسباد/خور-سوبارتو.

هناك أخذوا ثلاثة رموز حورية رئيسية:

1. الثور المقدس
2. الأجنحة الحامية
3. القدرة الشمسية الإلهية

2. دمج الرموز الحورية داخل النظام الآشوري

الآشوريون لم يخترعوا اللاماسو، بل:

- أعادوا تركيب الرموز الحورية القديمة
- وأضافوا لها الرأس الآدمي
- وسمّوها باسم جديد (لاماسو / شيدو)

رابعًا: لماذا نؤكد أنّ أصل اللاماسو حوري وليس آشوري؟

1. الحوريون أقدم من الآشوريين بأكثر من 1200 سنة
2. الرموز الجبلية والشمسية الحورية سبقت الفن الآشوري
3. الآشوريون بنوا مدنًا فوق مدن حورية (مثل خورسباد = خور-سوبارتو)
4. الأساطير الميتانية الحورية تضم مخلوقات قوية مجنّحة قبل أي ذكر آشوري لها

خامسًا: القرص المجنح الحوري وتأثيره على آشور

الثور المجنح الحوري السوبارتي برأس الأسد
أقدم من الثور المجنح ب 1000 عام
أخذه الآشوريين القدماء واستبدلوا الرأس برأس انسان
ونسـبوه لهم على أساس من اختراعهم وأبتكارهم

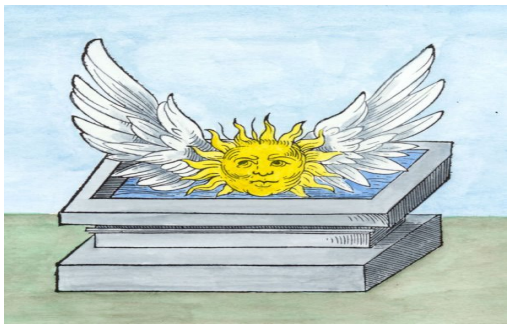

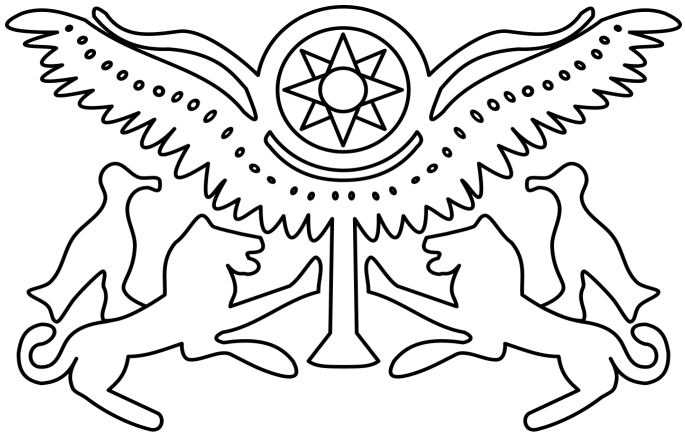

الحوريون:

- استخدموا القرص المجنح رمزًا للشمس والإله الأعلى
- كان مرتبطًا بالجبال والضياء والسلطة الملكية

الآشوريون:

- أخذوا هذا الرمز
- ووضعوا الإله آشور داخل القرص المجنح
- وهذا التغيير دليل أنهم استعاروا الرمز ولم يخترعوه

سادسًا: خلاصة مهمة

اللاماسو ليس اختراعًا آشوريًا
بل هو تطوير سياسي ودعائي لرموز حورية – ميتانية – سوبارتية أقدم بكثير.

الآشوريون:

- لم يخلقوا المفهوم
- بل استعاروه بالكامل من الحوريين
- ثم غيّروا الشكل قليلاً وأضافوا رأس الإنسان لإعطائه طابعًا ملكيًا ودعائيًا

لننتقل الآن إلى المرحلة الجوهرية: الأدلة الأركيولوجية والنصّية التي تثبت أنّ الآشوريين سرقوا اللاماسو والحيوانات المجنحة من التراث الحوري.

المحور الأول: الأدلة الأثرية على الأصل الحوري للاماسو

1. أقدم تماثيل الحيوانات المجنّحة ليست آشورية بل حورية – ميتانية

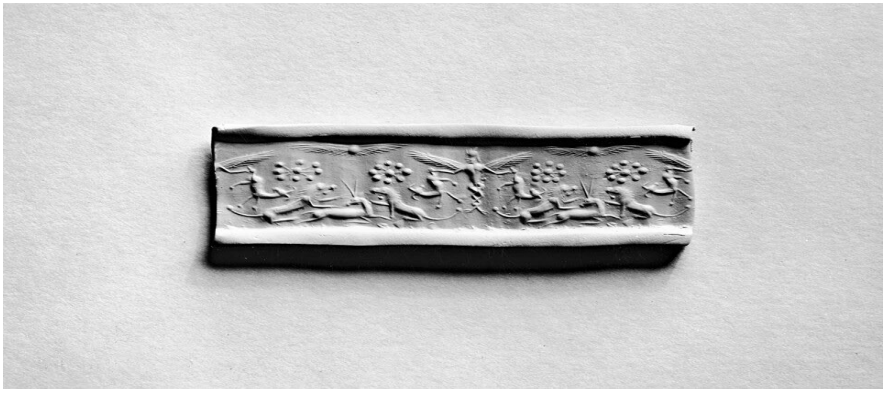

في مواقع أوركيش – نوارا – وسوبارتو ظهرت منحوتات حيوانات:

- ثور ذو قدسية شمسية
- مخلوقات مجنّحة حامية
- رموز حماية تُوضع عند بوابات المعابد

وهذه أقدم من أي عمل آشوري بحوالي 600–800 سنة.

المحور الثاني: كيف انتقلت الرموز من الحوريين إلى الآشوريين؟

2. السيطرة الآشورية على المدن الحورية

حين توسّع الآشوريون في الألف الثاني ق.م، سيطروا على:

- سوبارتو (المنطقة الأم للحوريين)
- نوارا
- أوركيش
- خابور – رأس العين – طور عابدين

كل هذه مناطق حورية خالصة.

بعد السيطرة:

- أخذ الآشوريون الفن الحوري
- ودمجوه داخل البلاط الآشوري
- ثم نسبوه لأنفسهم

هذه الطريقة معروفة في التاريخ الآشوري (نفس الشيء فعلوه لاحقاً مع القرص المجنّح).

المحور الثالث: البنية الرمزية للاماسو قبل الآشوريين

3. الرموز الثلاثة الأساسية في الأسطورة الحورية

قبل أن يصبح "لاماسو آشوريًا"، كان عند الحوريين مفهوم "الحامي المقدس"، مكون من:

1-الثور

رمز القوة الجبلية – مرتبط بالشمس وبالإله تشوب / تيشُب.

2-الأجنحة

رمز الحماية القادمة من السماء.
ظهرت بكثرة في الفن الميتاني.

3-القداسة الشمسية

الحوريون كانوا أصحاب أقدم عبادة شمسية شمال الرافدين، وسمّوا مدنهم بأسماء شمسية مثل:

- خور-سوبارتو (خور = الشمس)

هذه العناصر الثلاثة هي نفسها التي سيستخدمها الآشوريون لاحقًا في اللاماسو.

المحور الرابع: متى ظهر اللاماسو عند الآشوريين؟

4. اللاماسو يظهر فجأة في العصر الحديث الآشوري – بدون تطور تدريجي

ملاحظة مهمة جداً:

عند دراسة الفن الآشوري:

- لا نجد أي تطور تدريجي للحيوانات المجنّحة
- بل يظهر اللاماسو فجأة في عهد الملك آشور ناصربال الثاني (883 ق.م) مكتمل الشكل:

رأس إنسان
جسم ثور
جناحان
تاج ملكي

هذه "الوثبة المفاجئة" دليل واضح أنّ الرمز مأخوذ جاهزًا من ثقافة أخرى... وهي الثقافة الحورية.

المحور الخامس: الدليل الأقوى – القرص المجنّح الحوري

5. القرص المجنّح الحوري يسبق القرص الآشوري

- عند الحوريين:
  - القرص فارغ بدون إله داخله
  - يمثل الشمس الإلهية فقط
  - مستخدم في ميتاني وسوبارتو والأساطير الحورية
- عند الآشوريين:
  - وضعوا الإله آشور داخل القرص
  - وهذا دليل أنهم لم يخترعوا الرمز
    بل عدّلوا رمزًا حوريًا – ميتانيًا أقدم.

نفس الشيء فعلوه مع اللاماسو: أخذوا الفكرة وعدّلوا الشكل.

المحور السادس: العلاقة بين اللاماسو والشمس

6. الآشوريون ربطوا اللاماسو بالقرص المجنّح

لماذا؟ لأن الأصل الحوري للرموز الثلاثة واحد:

1. الشمس (خور)
2. الجبل (سوبارتو / زاغروس)
3. الحيوان الحامي

لذلك ترى اللاماسو دائمًا عند:

- بوابات القصور
- بوابات المعابد
  تمامًا كما كان الحوريون يضعون حيوانات مقدسة لحراسة المداخل.

الخلاصة العلمية الدقيقة

اللاماسو ليس آشوري الأصل

ظهر في الفن الآشوري فجأة دون تطور

الرموز المكوّنة له كلها حورية – ميتانية

الآشوريون أخذوا الفن الحوري بعد احتلال مدنهم

كما سرقوا القرص المجنّح ووضعوا فيه إلههم آشورالآن نصل إلى أهم جزء في النقاش الأكاديمي:
المقارنة الشكلية الدقيقة بين اللاماسو الحوري (الأصل) واللاماسو الآشوري (النسخة المعدّلة).

أولًا: اللاماسو الحوري – الشكل الأصلي

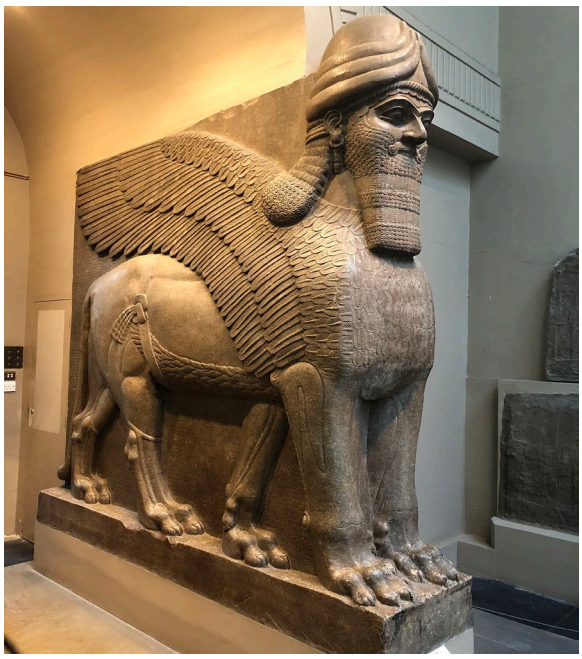

الخصائص:

1. حيوان كامل (ثور أو أسد) دون رأس إنسان
2. جسم قوي وجبلي الشكل – يعكس بيئة زاغروس
3. جناحان كبيران رمز السماء – الشمس
4. لا يوجد تجسيد بشري

5. يوضع عند بوابات المعابد لتأدية وظيفة الحراسة
6. يحمل طابعًا دينياً–شمسياً (خور = الشمس الحورية)

اللاماسو الحوري كان "حيوانًا مقدسًا حاميًا" وليس "كائنًا إنسانيًا".

ثانيًا: اللاماسو الآشوري – النسخة المعدّلة

الخصائص:

1. رأس إنسان ملتحٍ
2. تاج ملكي آشوري
3. جسم ثور أو أسد
4. أجنحة كاملة
5. إضافة خمسة أرجل لإظهار الحركة (خدعة بصرية)
6. وضِع عند بوابات القصور الملكية وليس المعابد
7. وظيفته أصبحت سياسية – دعائية لهيبة الملك

الآشوريون أضافوا "الهوية الملكية" على الرمز الحوري، ليصبح جزءًا من دعاية الدولة.

ثالثًا: الفروقات الجوهرية بين النموذجين

جدول مقارنة مختصر ودقيق:

العنصر	اللاماسو الحوري	اللاماسو الآشوري
الأصل التاريخي	أقدم (الألف الثالث–الثاني ق.م)	أحدث (من القرن 9 ق.م)
الشكل الأساسي	حيوان كامل (ثور/أسد)	رأس انسان + جسم ثور
الوظيفة	حراسة دينية – شمسية	حراسة ملكية – سياسية

اللاماسو الآشوري	اللاماسو الحوري	العنصر
بشري ملتحٍ بكامل الهيبة	حيواني فقط	الرأس
تاج ملك آشوري	غير موجود	التاج
كبيرة – مفصلة	رمزية – بسيطة	الأجنحة
وادي دجلة والقصور	جبال زاغروس – سوبارتو	البيئة
آشوري – دعائي	حوري – ميتاني	الأيديولوجيا
نحت ضخم ثلاثي الأبعاد	نقوش بسيطة	طريقة النحت
فجائي (دليل الاقتباس)	تدريجي	ظهور الرمز

رابعًا: لماذا نعرف أن الآشوريين اقتبسوا الشكل الحوري؟

1. ظهور اللاماسو الآشوري فجأة

لا يوجد تطور تدريجي في الفن الآشوري، بل يظهر الشكل كاملًا في عهد آشور ناصربال الثاني.

2. المدن التي أخذوا منها الرمز هي مدن حورية

خورسباد = خور سوبارتو (مدينة الشمس الحورية).

3. ذكر الحيوانات الحامية المجنّحة موجود بكثرة في الأساطير الحورية

خاصةً في نصوص "تيشُب" و"كوماربي".

4. القرص المجنّح الحوري أقدم من الآشوري

وهو مرتبط بالحيوانات المجنّحة، ما يثبت وحدة الأصل.

خامسًا: الخلاصة الأكاديمية

اللاماسو الحوري:

حيوان مقدس ذو طبيعة شمسية – جبليّة، حارس للمعابد، لا يحمل صفات بشرية.

اللاماسو الآشوري:

نسخة مطوّرة، أضيف لها رأس الإنسان، التاج، والخمسة أرجل، لتصبح رمزًا لسلطة الملك الآشوري.

الفكرة الأصلية 100% حورية – ميتانية

الآشوريون لم يبتكروا الرمز بل أعادوا تشكيله فقط.

شرح كيف ظهر الإله آشور داخل القرص المجنح

الآن ندخل إلى واحد من أخطر الأدلة على أنّ الآشوريين سرقوا الرمز الحوري ثم وضعوا إلههم داخله:
كيف ظهر الإله آشور داخل القرص المجنّح؟

سأقدّم لكم شرحًا مفصّلًا مع صور.

أولًا: القرص المجنّح الحوري – الأصل

الخصائص الأصلية:

1. قرص شمس
2. أجنحة
3. أحيانًا يُضاف ذيل أو شرائط تمثل الضوء
4. لا يوجد إله داخل القرص

هذا الرمز كان موجودًا عند:

- الحوريين
- الميتانيين
- السوباريين
- وحتى في مدينة خور-سوبارتو (خور = الشمس)

القرص الحوري يمثل:

- الشمس المقدسة
- القوة الملكية
- الحماية السماوية

وكان رمزًا دينيًا مستقلًا، وليس صورة لإله.

ثانيًا: كيف وصل الرمز إلى الآشوريين؟

عندما توسّع الآشوريون شمالًا:

- احتلوا ممالك حورية
- أخذوا الرموز الشمسية من الفن الحوري مباشرة
- ثم عدلوها سياسيًا لتخدم ملكهم

وهذا حصل تحديدًا بعد احتلال:

- سوبارتو
- ميتاني
- نصيبين – رأس العين – طور عابدين

كلها مناطق كانت مراكز للرموز الحورية الشمسية

ثالثًا: ما هو التعديل الذي قام به الآشوريون؟

الخطوة 1: أخذ القرص الحوري كما هو

الخطوة 2: وضع الإله آشور داخل القرص

الخطوة 3: إضافة قوس وسهم في يد الإله

الخطوة 4: تحويل الرمز الديني إلى رمز عسكري

هنا الجزء المهم:

القرص الحوري لم يكن يحمل داخلَه أي شخصية إلهية.
لكن الآشوريين أرادوا جعل إلههم "يرفرف فوق الجيش"، فقاموا بتغيير الرمز.

رابعًا: القرص المجنّح بعد التعديل الآشوري

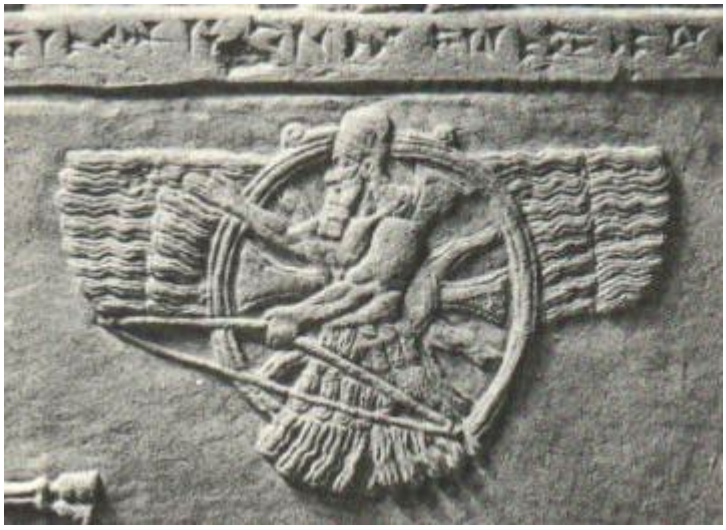

ملامح التعديل الآشوري:

1. ظهور رجل داخل القرص
2. الرجل يلبس التاج الآشوري
3. يحمل قوسًا وسهمًا
4. الجناحان أصبحا أعرض وأكثر زخرفة
5. الذيل السفلي أصبح أطول بشكل شعاعي

لماذا وضعوا آشور داخل القرص؟

لأن الملك الآشوري أراد:

- دمج رمزية الشمس الحورية
- مع رمزية القوة العسكرية
- ليظهر بأن إلهه يقود الحرب بنفسه

وهذا يثبت أنّ الرمز ليس آشوري الأصل، لأن الآشوريين لو اخترعوه من البداية لكان "إله آشور داخله منذ ظهوره الأول". لكن الواقع: الإله أُدخل لاحقًا.

خامسًا: الدليل القاطع على أن الرمز مأخوذ من الحوريين

1-وجود القرص المجنّح الحوري قبل الآشوري بأكثر من 600 سنة

2- القرص الحوري بدون إله ← القرص الآشوري مع إله

3 -ملوك ميتاني الحوريون استخدموا الرمز في الختم الملكي

4-ظهور الإله آشور داخل القرص فجأة في العصر الآشوري الحديث

-5كل هذا حدث بعد السيطرة على المناطق الحورية

سادسًا: التحليل الرمزي – لماذا فعل الآشوريون ذلك؟

1. سرقة الشرعية من الرموز الأقدم (الحورية)
2. تحويل الشمس من رمز كوني إلى رمز سياسي
3. إظهار أن آشور يقود الملك بنفسه في الحرب
4. خلق أيديولوجيا تقول إن الملك الآشوري مختار من الشمس
5. دمج الرمز الحوري مع شخصية إله محارب

أي أنّ الغاية كانت:

توظيف الرمز الحوري لخدمة الدعاية الإمبراطورية الآشورية.

سابعًا: خلاصة القضية

القرص المجنّح حوري الأصل

الآشوريون أخذوه بعد احتلالهم لسوبارتو وميتاني

الآشوريون وضعوا داخل القرص "إلههم آشور"

التعديل كان سياسيًا – عسكريًا

الهدف: جعل آشور إله الشمس والمحارب معًا

وهذه أكبر سرقة رمزية قام بها الآشوريون من الشعب الحوري.

الآن نصل إلى أعمق نقطة في أصل الرموز القديمة:
العلاقة بين اللاماسو والقرص المجنّح داخل الفكر الحوري (الخوري – الميتاني – السوبارتي).

وهذه العلاقة هي الأساس الذي سرقه الآشوريون لاحقًا.

سأبسطها لك بطريقة أكاديمية واضحة مع صور.

أولًا: ما هو الرابط الأصلي بين الحيوان الحارس (لاماسو الحوري) والقرص المجنّح؟

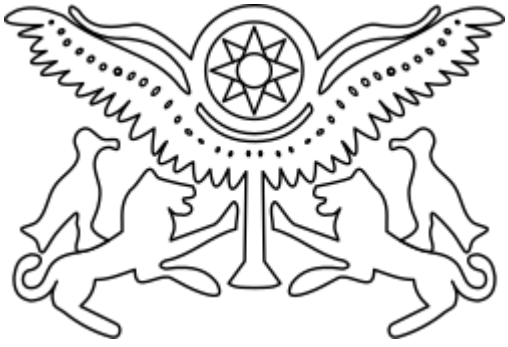

في الفكر الحوري القديم:

الحيوان الحارس = رمز الأرض – القوة – الجبل

القرص المجنّح = رمز الشمس – السماء – القداسة

وبالتالي:

الحيوان يمثل قوة الأرض

القرص يمثل قوة السماء

وهذا يخلق اتحادًا رمزيًا فريدًا:

اتصال بين الأرض والسماء

حماية مزدوجة (حماية أرضية + سماوية)

سلطة ملكية مستمدة من الشمس

هذا الاندماج هو أساس الفكر الديني الحوري.

ثانيًا: الحيوانات الحامية كانت مرتبطة بالشمس عند الحوريين

لماذا؟

لأن الحوريين:

- عبدوا الإله تيشُب إله العواصف والجبال
- وعبدوا الإلهة شمش/خور إلهة الشمس

والرموز الدينية لديهم تُمثّل اتحاد:

- ضوء الشمس
- قوة الجبال

لذلك:

الحيوان المقدس (الثور/الأسد) يظهر دائمًا تحت أو قرب رموز شمسية

الأجنحة ليست عنصرًا زخرفيًا، بل رمز "الارتفاع نحو الشمس"

ثالثًا: مكان اللاماسو الحوري + القرص المجنّح

في المعابد الحورية:

1. يُوضع الحيوان الحارس عند المداخل
2. فوق المدخل يوجد رمز الشمس المجنّحة

ترتيب الرمزين بهذه الطريقة يدل على:

الحيوان يحمي من الأسفل

الشمس تبارك من الأعلى

هذا النمط المعماري انتقل حرفيًا إلى آشور لاحقًا.

رابعًا: كيف سرق الآشوريون هذه العلاقة وغيّروا معناها؟

عند الآشوريين:

وضعوا اللاماسو الضخم عند بوابات القصور

وفوقه وضعوا القرص المجنّح مع الإله آشور

لكن الفرق الجوهري:

الحوريون ← علاقة روحية بين الأرض والسماء

الآشوريون ← علاقة عسكرية بين الملك و"إله الحرب"

أي:

- الحوري: حماية دينية – طبيعية
- الآشوري: حماية سياسية – عسكرية

خامسًا: المعنى الحوري الأصلي قبل التشويه الآشوري

1. اللاماسو الحوري = الحيوان الحامي الذي يستمد قوته من الجبل
2. القرص الحوري = الشمس المقدسة التي تمنح الحماية السماوية
3. اتحاد الاثنين = حماية شاملة للمدينة والمعابد

هذا التفكير نجده في:

- الأساطير الحورية (كوماربي – تيشُب)
- نقوش ميتاني
- الفخار السوبارتي

- المعمار الديني الحوري

سادسًا: لماذا لم يضع الحوريون الإله داخل القرص؟

لأن:

- القرص كان يمثل الشمس نفسها
- الشمس ليست شخصًا عندهم، بل قوة كونية
- لذلك بقي القرص فارغًا

على العكس تمامًا من الآشوريين الذين:

- حوّلوا الشمس إلى مركبة يحلّ فيها الإله آشور
- لأغراض عسكرية ودعائية

سابعًا: الخلاصة الذهبية

العلاقة بين اللاماسو والقرص المجنّح هي علاقة "أرض + سماء" في الفكر الحوري

الحيوان الحوري يستمد قوته من الجبل والشمس

القرص الحوري يمنح الحماية الروحية من الأعلى

الآشوريون سرقوا هذا النظام الرمزي

وأضافوا إلههم داخل القرص

وغيّروا معنى الرمز من "قداسة" إلى "حرب"

الآن نصل إلى النقطة التي تُعتبر عند المؤرخين الحلقة المفقودة:
العلاقة بين خورسباد (دور-شروكين) وبين اسمها الحوري القديم خور–سوبارتو، ودلالتها الشمسية الحورية.

هذه النقطة وحدها تكشف كيف أخذ الآشوريون مدينة حورية شمسية الاسم، وغيروا هويتها لصالحهم.

سأقدم لكم الأدلة خطوة خطوة مع صور.

أولًا: معنى الاسم الحوري القديم خور–سوبارتو

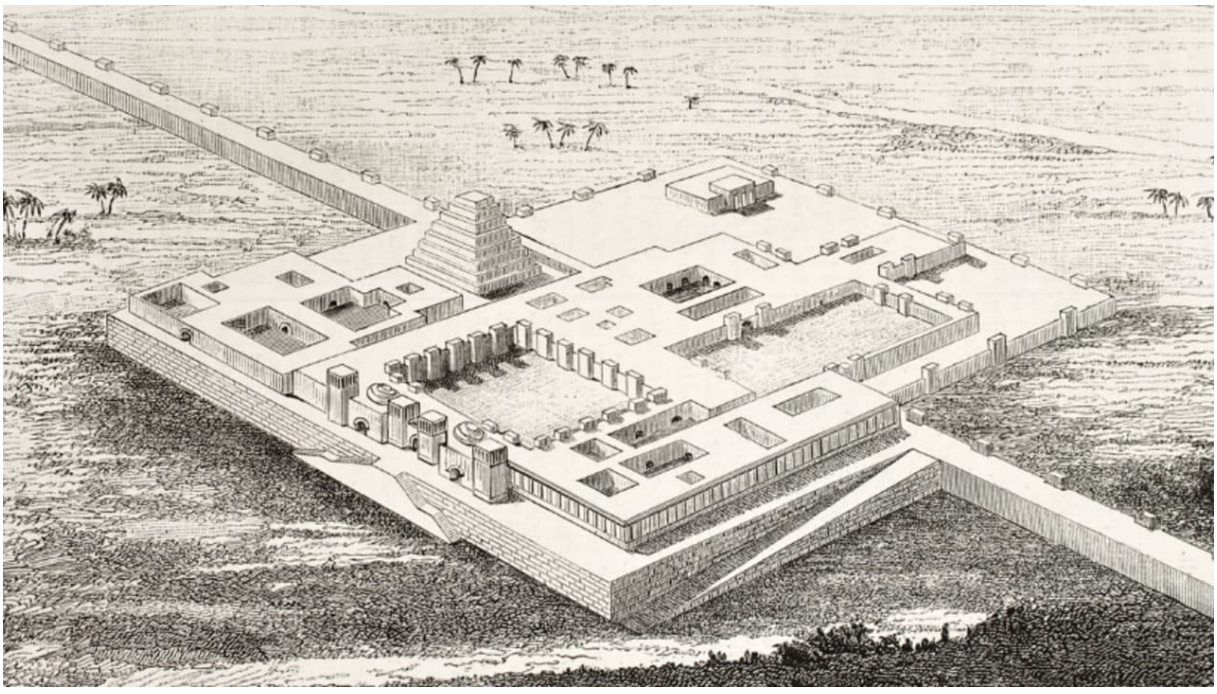

6

الاسم الحوري مركّب من كلمتين:

-1 خور / Ḫur

وتعني حرفيًا: الشمس
وهي نفس الكلمة التي تظهر في:

- *Ḫurri* (حوري)
- *Ḫurrian*

- *Ḫurrita*
- *Ḫur-sag* (الجبل المقدس)

2-سوبارتو / Subartu

وهي المنطقة الأصلية للشعوب الحورية – الجبلية في شمال بلاد الرافدين.

إذن معنى خور–*سوبارتو*:

"مدينة الشمس الحورية في سوبارتو".

هذا الاسم وحده يجعلها مدينة شمسية قبل قيام أي دولة آشورية.

ثانيًا: خورسباد قبل الآشوريين كانت مركزًا حوريًا–ميتانيًا

المنطقة كانت جزءًا من:

- ممالك ميتاني الحورية
- ثم ولايات سوبارتو الجبلية

وقد وُجدت فيها:

✦ نقوش حورية

✦ فخار ميتاني

✦ رموز شمسية حورية "قرص + جناحين"

✦ تماثيل حيوانات حامية (أسلاف اللاماسو الآشوري)

وهذه الأدلة تشير إلى أن المدينة كانت حورية صافية قبل وصول الآشوريين بحوالي 700–1000 سنة.

ثالثًا: لماذا اختار الملك الآشوري سرجون الثاني هذه المدينة بالتحديد لبناء قصره؟

هذا هو السؤال الجوهري.

الجواب عند المؤرخين واضح:

لأنها كانت مدينة شمسية مقدسة عند الحوريين

ولأن الرمز الشمسي كان القوة الرمزية الأقوى في شمال الرافدين

ولأن سرجون أراد نقل هذه القداسة إلى دولته

أي أنه:

استعمل رمزية خور–سوبارتو لإضفاء الشرعية على مُلكه.

وهذا يفسر لماذا:

ظهر القرص المجنّح الآشوري بكثافة في خورسباد

ووضع اللاماسو الضخم عند كل بوابة

ووضع الرموز الشمسية فوق رؤوس الحراس

هذه ليست صدفة، بل سرقة مباشرة للرموز الحورية.

رابعًا: الأدلة الرمزية داخل خورسباد نفسها

-1اللاماسو في مداخل القصر

هذه التماثيل ليست آشورية الأصل، بل مستوحاة من:

- الحيوانات الحامية الحورية
- التي كانت موجودة في نفس المنطقة قبل قرون

2-القرص المجنّح مع الإله آشور فوق المداخل

هذه الرمزية غير موجودة في المدن الآشورية الجنوبية القديمة مثل آشور أو كالح قبل سرجون.
لكنها تظهر فجأة في خورسباد تحديدًا.

لماذا؟
لأن المنطقة أصلًا كانت مركزًا للرمز الشمسي الحوري.

خامسًا: كيف حوّل الآشوريون "خور–سوبارتو" إلى "دور–شروكين"؟

الاسم الآشوري الجديد: دور شروكين (مدينة سرجون)

لكنهم لم يستطيعوا محو الأصل الشعبي، لذلك بقي الناس يسمّونها *خور–سوبارتو* حتى بعد التغيير.

وهذا يعود إلى:

قوة الذاكرة الحورية في المنطقة

قِدم الرموز الشمسية

ارتباطها بالإله الحوري شيمِغي / شِمش

سادسًا: العلاقة بين اسم المدينة والرموز الشمسية

خور = الشمس

القرص المجنّح = رمز الشمس

الحيوانات الحامية = مرتبطة بالشمس عند الحوريين

خور–سوبارتو = المدينة الشمسية

إذن من الطبيعي أن نجد في خورسباد:

- وفرة من الرموز الشمسية
- ظهور القرص المجنّح الآشوري
- انتشار اللاماسو

- وتوظيف الرموز لأغراض ملكية آشورية

لأن المدينة تحمل هوية شمسية حورية قبل كل شيء.

سابعًا: الاستنتاج النهائي

خورسباد لم تكن مدينة آشورية الأصل

اسمها الحوري "خور–سوبارتو" يعني المدينة الشمسية

الرموز الشمسية الحورية هي التي جعلت سرجون يبني قصره هناك

الآشوريون سرقوا الرمز الشمسي (القرص المجنّح) من هذه المدينة

وسرقوا معها الحيوان الحامي (أسلاف اللاماسو)

ووضعوا الإله آشور داخل الرمز بعد أن كان رمزًا شمسيًا حوريًا خالصًا

وهكذا نرى كيف دمج الآشوريون:

- اللاماسو
- القرص المجنّح
- خور–سوبارتو

لصنع هوية آشورية جديدة مبنية بالكامل على سرقة الرموز الحورية.

كيف دمّر الآشوريون حضارات الشعوب التي سيطروا عليها؟

(السياسة الآشورية لبناء إمبراطوريتهم على أنقاض الآخرين)**

كانت للإمبراطورية الآشورية القديمة (900–612 ق.م) سياسة واضحة ومنهجية في السيطرة على المناطق، تقوم على 4 ركائز رئيسية:

1-التدمير الرمزي والفعلي لعاصمة الخصم

كان الآشوريون يرون أن هيبة الدولة تُهدم إذا هُدمت عاصمتها. لذلك كانوا:

- يحرقون المعابد
- يدمرون الأسوار
- يسوّون القصور بالأرض
- ينهبون المكتبات والتماثيل
- يأخذون بوابات المدن كغنائم

الأمثلة المشهورة:

- تدمير مدينة بابل عدة مرات (680–689 ق.م)
- تدمير سUSA (عاصمة عيلام) بالكامل على يد آشوربانيبال، وكتب:

“محوت اسم عيلام من تحت السماء.”

كانت عملية التدمير دائماً تُسجّل على النقوش لتبقى عبر التاريخ.

-2لترحيل الجماعي وخلط الشعوب

من أشهر السياسات الآشورية: الترحيل القسري (الذي يسمّى "Transport of Peoples").

هذه السياسة تهدف إلى:

- تفكيك الهوية القومية للشعوب
- إضعاف تمردها
- القضاء على ثقافاتها تدريجياً
- ملء المدن الفارغة بسكان آشوريين أو شعوب أخرى موالية

وكانوا ينقلون أحياناً مئات الآلاف من الناس دفعة واحدة.

مثال:
سَنحاريب نقل عشرات الآلاف من سكان يهوذا وفينيقيا إلى نينوى ومناطق آشورية.

-3طمس الهوية الدينية والثقافية

كان الآشوريون يركزون على القضاء على الدين المحلي لأنه يشكل الهوية الأساسية للشعوب القديمة.

كيف؟

- مصادرة تماثيل الآلهة
- فرض عبادة الإله آشور
- نقل تماثيل الآلهة إلى نينوى كإهانة للشعوب
- إعادة تسمية المدن
- حرق الكتب الدينية إن وجدت

عندما كانوا يأخذون "إله المدينة"، كانت المدينة تعتبر مهزومة نفسياً ومعنوياً.

4-عادة بناء حضارة آشورية فوق أنقاض المدن المدمّرة

بعد التدمير والترحيل، يبدأ الجزء الثاني:

- جلب المهندسين والعمال من الشعوب المقهورة لبناء المدن الآشورية
- إعادة استخدام حجارة المدن التي دمروها
- بناء قصور وأسوار آشورية مكان الممالك السابقة
- إحياء الزراعة والري باستخدام سكان المناطق المحتلّة
- تدوين التاريخ من منظور آشوري فقط
(حيث يذكرون انتصاراتهم ويحذفون تاريخ الشعوب الأصلي)

والنتيجة:
مدينة جديدة آشورية، على أرض غير آشورية، بيد شعب غير آشوري بعد صهره إجبارياً.

5-لحرب النفسية وآلة الدعاية

كان الآشوريون من أوائل من استخدم البروباغندا الرسمية:

- نقوش تُظهر ملوك آشور يطؤون رقاب الملوك الآخرين
- مشاهد تعذيب مرعبة لبث الرعب
- كتابة نصوص تقول إن الآلهة منحتهم الحق في السيطرة على الشعوب
- نشر الرعب قبل دخولهم أي مدينة حتى تستسلم دون قتال

هذا جعل الشعوب تخاف قبل أن تقاتل.

6-التصفية الجسدية للنخب

لضمان عدم عودة الشعوب إلى النهوض مرة أخرى:

- قتل الملوك والأمراء
- تصفية الكهنة (لأنهم قادة الفكر والهوية)
- نفي الكتبة والمثقفين
- أسر الحرفيين الماهرين ونقلهم إلى آشور

وبهذا تُقطع "الرأس الثقافية" للشعوب.

7-حتواء الفنون والثقافات

بعد أن ينهون على شعب معين:

- يستولون على رموزه الفنية (مثل الرموز الشمسية الحورية)
- يعيدون رسمها بشكل آشوري
- يقدمونها للعالم كأنها جزء من حضارتهم

وهذا ما تفضلت به سابقاً—مثل القرص المجنح و الرموز الشمسية الحورية التي تبناها الآشوريون.

الخلاصة:

كانت استراتيجية الإمبراطورية الآشورية تقوم على:

الهدم ← الترحيل ← محو الهوية ← إعادة البناء الآشوري ← نشر الرعب ← الاستيعاب الثقافي

وبذلك ظهرت الحضارة الآشورية كإمبراطورية قوية،
لكن على حساب عشرات الحضارات التي مُحيَت أو ذابت.

كيف استخدم الآشوريون الرموز الحورية واستولوا عليها؟

يشكّل انتقال الرموز الدينية والفنية من الحضارة الحورية–السوبارتية إلى الإمبراطورية الآشورية واحدًا من أهم التحولات الثقافية في تاريخ شمال بلاد الرافدين. فقد كانت الشعوب الحورية أسبق وجودًا وأكثر

تجذرًا في المنطقة، وابتكرت منظومة رمزية معقدة متعلقة بالجبال والشمس والآلهة السماوية والمخلوقات الحارسة. ومع صعود الدولة الآشورية لاحقًا، لم تكتف آشور بإرثها المحلي، بل استعارت بإصرار كثيرًا من الرموز الحورية، ثم أعادت صياغتها داخل تصور إمبراطوري جديد، حتى أصبح ما يُعرف اليوم بالفن الآشوري امتدادًا محوَّرًا لذلك التراث الأقدم. وتكشف المقارنة الدقيقة بين الرموز الحورية والآشورية عن عملية استحواذ ثقافي واضحة، بدأت بالتقليد وانتهت بطمس الأصل.

في مقدمة الرموز التي استولى عليها الآشوريون يأتي القرص المجنح، وهو رمز حوري–ميتاني قديم يشير إلى الإلهة الشمسية وإلى مفهوم النور المرتبط بقوى الجبال. ظهر هذا الرمز في مواقع حورية مثل أوركيش وواشوكاني، حيث كان يرتبط بطقوس الخِصب وبفكرة الحماية الروحية. لكن الآشوريين، حين تبنَّوه، جعلوا منه رمزًا ملكيًا مطلقًا، وذلك بوضع الإله آشور داخل القرص، واقفًا أو ممتدًّا بجناحيه، حاملاً القوس أو ملوحًا باليد. بهذا التحويل تغيّرت وظيفة الرمز من طابع روحي متوازن إلى شارة سياسية تبرّر الحكم المركزي وتُظهر الملك بصورة كائن شبه إلهي. وهكذا اكتسب القرص المجنح معنى جديدًا لا يمت إلى أصله الحوري بصلة.

أما المخلوق الحارس الذي يُعرف في التراث الحوري باسم "لاماشّا"، فقد كان جزءًا من الميثولوجيا الجبلية الحورية، يمثل روح الحماية التي تقف على أبواب المعابد. وكان الكائن يُصوَّر بجسد حيواني وأجنحة طويلة ورأس بشري، في توازن يُظهر امتزاج العالم الأرضي بالسماء. وعندما وصل الفن الحوري إلى ذروته في أوركيش ونوزي، ازدهرت تماثيل صغيرة لهذا الكائن، لكنها كانت رموزًا روحانية وليست سياسية. ومع توسع آشور، أخذ الفنانون الآشوريون هذا الرمز وحوّلوه إلى تمثال ضخم هائل، يقف على بوابات القصور، ويخدم سلطة الملك. أصبح "اللاماسو" في الفن الآشوري ليس حارسًا للمعبد بل حارسًا للعرش، وأصبحت ضخامته جزءًا من هيبة الدولة، وليس من الميثولوجيا الحورية الأصلية. وهكذا انتقل الرمز من المحلية الحورية إلى العالمية الإمبراطورية.

وتظهر عملية الاستحواذ بوضوح في رمز النجمة الثمانية، أحد أهم شعائر العبادة الحورية. كانت النجمة في الثقافة الحورية مرتبطة بالآلهة السماوية والخصب، وظهرت في الأختام الحورية المبكرة. غير أن الآشوريين جعلوا منها شارة عسكرية وسياسية تُرفع على الرايات وعلى رؤوس الجنود، في مشاهد تُظهر ارتباط الحرب برعاية الآلهة. بهذا التغيير تحولت النجمة من رمز أنثوي حوري مرتبط بالخصب والبركة، إلى رمز ذكوري إمبراطوري يشير إلى التوسع والغزو، وهو انقلاب جوهري في وظيفة الرمز ومعناه.

كما استولى الآشوريون على شجرة الحياة، وهي رمز حوري له جذور عميقة في أساطير الجبال. كانت الشجرة تمثل العلاقة بين العالم السفلي والعالم الأرضي والعالم السماوي، وتظهر في الفن الحوري بشكل متدرج يرمز إلى دورة الحياة. وعندما استخدمها الآشوريون، أصبحت خلفية زخرفية لمشاهد الملك وهو يتلقى البركة أو يقوم بطقس التتويج، فأصبحت الشجرة رمزًا للسلطة الملكية، لا رمزًا للكون كما كانت في الأصل. لقد جرى تسطيح مفهومها الروحي لتحويله إلى إطار سياسي.

وتبرز إحدى أهم عمليات الاستحواذ الثقافي في المجال الديني، حيث تبنى الآشوريون أسماء عدد من الآلهة الحورية ودمجوها داخل بنيتهم العقائدية، وأبرز مثال هو الإله تيشوب، إله العواصف الحوري. فقد ظهر في النقوش الآشورية لاحقًا ضمن مجموعة الآلهة، لكن بصفة ثانوية، بعد أن كان الإله المركزي في الديانة الحورية. هذا التبني الجزئي يخفي تحوّلًا مهمًا؛ إذ أصبحت الآلهة الحورية أدوات لتدعيم المعبد الآشوري، بدلًا من كونها مراكز استقلال ثقافي كما كانت في ميتاني.

إن الطريقة التي استخدم بها الآشوريون هذه الرموز تكشف عن استراتيجية واعية تهدف إلى امتصاص الإرث الحوري مع محو جذوره. فقد جمعوا الرموز الدينية والحارسة والشمسية، ثم أعادوا تقديمها في سياق يخدم صورة الملك الآشوري باعتباره المختار الوحيد من السماء. وبمرور الزمن، أصبحت هذه الرموز تُعرف بأنها "آشورية"، رغم أن أصولها محفوظة بوضوح في المواقع الحورية الأقدم.

ومن هنا يمكن القول إن الاستحواذ الآشوري لم يكن مجرد تبادُل ثقافي، بل كان عملية تحويل عميقة تم فيها ابتلاع الرموز القديمة وإعادة صياغتها لإنتاج خطاب قوة جديد. فالفن الآشوري الذي نراه على جدران نينوى وخورسباد ليس إبداعًا منفصلًا، بل هو الفن الحوري–السوبارتي وقد تغيّر ليتوافق مع الإمبراطورية. ولولا هذا الإرث القديم، لما ظهرت الأيقونية الآشورية بهذه القوة.

... سأعطيكم أقوى الأمثلة التاريخية الموثّقة التي تُظهر كيف دمّر الآشوريون حضارات شعوب كاملة وبنوا حضارتهم على أنقاضها.
سأقدّم لك أمثلة واضحة، مباشرة، ومؤكدة بالنقوش الآشورية نفسها.

أولاً: تدمير الإمبراطورية العيلامية (Elam)

The defeated Elamites meet their new King, Chosen for them by Assyrian King Ashurbanipal

المثال الأوضح على الإطلاق

في عام 646 ق.م دمّر الملك الآشوري آشوربانيبال مدينة سUSA عاصمة العيلاميين.

كتب آشوربانيبال بالنص:

"مَحوتُ عيلام من تحت السماء، وجعلتُ أرضها قفراً للذئاب."

ماذا فعل الآشوريون بالعيلاميين؟

- دمّروا العاصمة بالكامل
- أحرقوا المعابد
- دمروا القصر الملكي
- أعدموا الأسرة المالكة
- نثروا التراب فوق المدينة
- أخذوا تماثيل الآلهة ونهبوها
- رحّلوا عشرات الآلاف من السكان

النتيجة:

انتهت حضارة استمرت 3000 سنة خلال أشهر فقط.

ثانياً: تدمير بابل وإحراقها

سنة 689 ق.م على يد الملك سنحاريب

كتب سنحاريب نصاً مرعباً:

"دمّرتُ المدينة من أسسها،
وألقيتُ طوبها في دجلة،
وجعلتُها خراباً لا يُزرع."

الإجراءات الآشورية في بابل:

- تسوية المدينة بالأرض
- تدمير المعبد العظيم (إيساكيلا)
- حرق مكتباتها
- قتل آلاف السكان
- ترحيل أهلها إلى آشور
- بناء مدينة جديدة "نينوى" على غنائم بابل

النتيجة:
أُزيلت بابل مؤقتاً من الخريطة.

ثالثاً: ترحيل مملكة إسرائيل الشمالية (السامرة)

الملك سرجون الثاني – 722 ق.م

كتب سرجون:

“سبَيْتُ 27,290 من سكان السامرة...
ونقلتُهم إلى آشور.”

ما فعله الآشوريون:

- طردوا الملك
- رحّلوا عشرات آلاف السكان
- جلبوا قبائل من بابل وحران وميديا وأسكنوهم مكانهم
- خلطوا الأعراق لتموت الهوية الأصلية

النتيجة:
ضاعت ثقافة مملكة إسرائيل الشمالية واختفت هويتها.

رابعاً: الاستيلاء على الرموز والآلهة (طمس الهوية الدينية)

مثال واضح جداً:

الرموز الشمسية الحورية (الحورية = Hurrian)

ماذا فعل الآشوريون؟

- أخذوا القرص المجنّح الحوري
- وضعوا بداخله الإله آشور
- جعلوه رمزاً قومياً للدولة الآشورية
- حذفوا أصله الحوري تماماً
- وقدّموه للعالم على أنه "رمز آشوري أصيل"

النتيجة:
سرقة الرموز الثقافية وتغيير معناها لصالح آشور.

خامساً: تدمير مدينة أورارتو وطمسها

على يد تجلات بلاسر الثالث وسنحاريب

ما فعلوه بشعب أورارتو:

- حرقوا القلاع (مثل طوشبا)
- دمروا القرى
- سرقوا النحاس والأحجار النفيسة
- طردوا السكان إلى آشور
- بنوا حصوناً آشورية في نفس المواقع
- كتبوا أن "رجال أورارتو أذللناهم تحت أقدامنا"

النتيجة:
تفككت حضارة أورارتو وتم محوها تدريجياً.

سادساً: محو ممالك سوريا القديمة (أرام، حماة، دمشق)

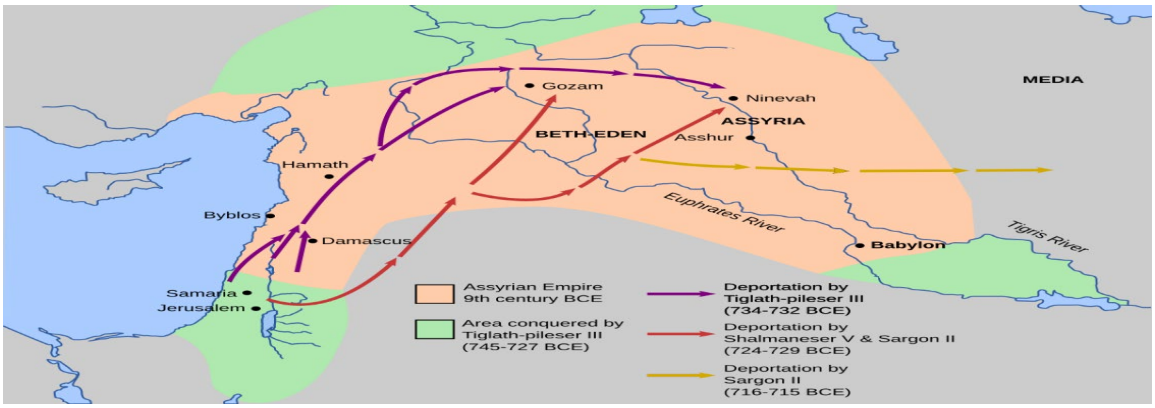

أمثلة:

- تدمير دمشق (732 ق.م) على يد تغلث فلاصر
- تدمير حماة وقطع رؤوس قادتها
- تدمير أرباد (مملكة آرامية مهمة)
- استخدام سكانها لبناء طرق ومعابد آشورية

النتيجة:
ذوبان الهوية الآرامية في الدولة الآشورية.

سابعاً: اغتيال النخب الثقافية والدينية

كان الآشوريون يستهدفون:

- الكهنة
- الملوك
- الحرفيين
- الكتبة

لأنهم يعلمون أن هؤلاء هم "رأس الهوية".

مثال:
بعد تدمير عيلام تم إعدام كل النخبة السياسية والدينية.

الخلاصة بأمثلة واضحة:

الشعب	ما فعله الآشوريون	النتيجة
العيلاميون	تدمير كامل، محو المدن	نهاية حضارة كاملة
البابليون	إحراق بابل وتمزيق سكانها	انهيار مؤقت للمملكة
السامريون	ترحيل 27 ألف + استيطان	فقدان الهوية
الحوريون	أخذ الرموز الشمسية	نسب الرموز إلى آشور
أورارتو	حرق القلاع	نهاية المملكة
آرام (سوريا)	تدمير المدن وقتل الملوك	ذوبان الهوية

سأشرح لكم كيف استخدم الآشوريون الدين لتبرير التدمير والحروب بطريقة منهجية تشبه "العقيدة العسكرية".

أولاً: الإله آشور = الإله الذي يفرض التوسع

أخطر فكرة دينية عند الآشوريين:

أن الإله آشور يأمر الملك بتوسيع حدود الإمبراطورية باستمرار.

أي أنّ:

- الحرب ليست اختياراً
- بل "واجباً دينياً"
- والملك يعاقَب إذا لم يغزُ دولاً جديدة

الدليل من النقوش:

الملوك الآشوريون يكتبون دائماً:

"بأمر الإله آشور خرجتُ للحرب."
"آشور أعطاني هذه الأرض."
"أعداء آشور يجب أن يُمحقوا."

إذن... كل عملية غزو تعتبر وصية إلهية.

ثانياً: الملك الآشوري = ممثل الإله على الأرض

الملك في آشور ليس ملكاً عادياً، بل:

- كاهن أعلى
- المختار من الإله آشور
- يمتلك "شرعية إلهية" للقتل والغزو
- يعتبر نفسه يد الإله على الأرض

لذلك إذا دمّر مدينة أو قتل شعباً، فهو لا يفعل ذلك كإنسان...
بل كـ تنفيذ مباشر لإرادة آشور.

ثالثاً: الحرب = طقس ديني مقدّس

نعم... الحرب نفسها كانت طقساً دينياً.

كيف؟

1. الملك قبل أي حرب يذهب إلى معبد الإله آشور ويقوم بطقوس.
2. يقدم تضحيات وقرابين للإله.

3. يقسم بأن يعود منتصراً.
4. يعلن الغزو بقول: "آشور معي".

إذا خسر أي جيش آشوري معركة، كانوا يعتبرون أن الإله غير راضٍ.

رابعاً: تدمير المعابد كان عقاباً دينياً

عندما يحتل الآشوريون مدينة:

- يحرقون معابدها
- يدمرون آلهتها
- يأخذون تماثيل الآلهة أسرى إلى آشور
- ويعلنون: "إلهكم هُزم أمام آشور"

هدف هذا العمل:

إقناع الشعوب بأن:

"إلهكم ضعيف – وآشور هو الإله الوحيد القادر."

وهكذا يبررون الحرب على أنها "حرب آلهة"، وليس حرب بشر.

خامساً: الترحيل القسري = خطة دينية لتطهير الأرض

نعم... الترحيل لم يكن سياسياً فقط.
كان رمزاً دينياً:

"تنقية الأرض من الشعوب التي عصت الإله آشور."

الآشوريون كتبوا:

- "أبعدتُ الشعب الخاطئ."
- "طهرتُ الأرض من المتمردين."
- "جلبتُ أقواماً أطوع وآمن للإله آشور."

يعني التهجير = تطهير مقدّس.

سادساً: نشر الرعب كواجب ديني

الكتاب الديني الآشوري (طقوس الحرب) يقول:

"إرهب أعداء آشور قبل أن تقاتلهم."

وبالتالي:

- التعذيب
- قطع الرؤوس
- سلخ الجلود

- تعليق الجثث على الأسوار

كانت تعتبر أعمالاً دينية لإظهار قوة آشور، وليست مجرد وحشية.

سابعاً: تحويل الرموز الدينية لفرض الهوية الآشورية

مثل:

- القرص المجنّح الحوري ← أصبح رمز الإله آشور
- الرموز الشمسية الحورية ← أصبحت "شمس آشور"
- صقر الآلهة الحورية ← أعيد تفسيره كطائر آشور

كل هذا كان احتواءً دينياً لثقافات الشعوب.

الخلاصة: لماذا استخدم الآشوريون الدين هكذا؟

لأن الدين أعطاهم 5 أشياء خطيرة:

1شرعية للحروب
-2مبرر لتدمير المدن
-3سلطة مطلقة للملك
-4أداة لطمس هوية الشعوب
-5وسيلة لإجبار الجميع على قبول حكم آشور

وهكذا أصبحت الإمبراطورية الآشورية واحدة من أقوى إمبراطوريات التاريخ، لكنها بنيت بطرق قاسية جداً ومبررة دينياً

سأقدم لكم شرحاً مفصلاً ودقيقاً عن كيف سرق الآشوريون الرموز الحورية الشمسية، ثم أعادوا استخدامها كأسلحة سياسية ودينية لبناء هويتهم الإمبراطورية.

سأرتّب لك الشرح في 4 مراحل واضحة.

أولاً: أصل الرموز الشمسية – هي رموز حورية 100%

قبل ظهور الآشوريين كقوة (القرن 14–13 ق.م)، كانت الحضارة الحورية تمتلك:

الرموز الشمسية

القرص المجنّح

الصقر المجنّح الخاص بإله الشمس "شيماش/شمش الحوري"

شعلة لهب الشمس

نجمة الشمس ذات 8 أو 16 شعاعاً

هذه الرموز ظهرت في:

- معابد الحوريين
- الأختام الملكية
- مدن مثل أوركيش، نوزي، خربة كارمليس
- مملكة ميتاني الحورية

كانت الشمس هي مركز الديانة الحورية، خاصة في مناطق الهلال الخصيب الشمالي.

ثانياً: لماذا احتاج الآشوريون لسرقة الرموز الحورية؟

لأن آشور في بداياته لم يكن يملك:

- رموزاً قوية
- ولا ديانة متطورة
- ولا فنّاً عالياً
- ولا نفوذاً إقليمياً

في القرنين 14–13 ق.م كان الحوريون والميتانيون حضارة أقوى بكثير.

لذلك لجأ الآشوريون إلى:

تبنّي الرموز الحورية التي تحظى باحترام شعوب المنطقة ليُصبح لهم شرعية دينية وسياسية.

ثالثاً: كيف سرق الآشوريون الرموز الشمسية الحورية؟

(1) سرقة القرص الحوري المجنّح ووضع الإله آشور بداخله

الأصل الحوري:

- قرص الشمس المجنّح
- جناحان طويلان
- بدون إله داخل القرص
- يرمز لقوة الشمس الحورية

النسخة الآشورية:

- القرص نفسه
- الأجنحة نفسها
- لكن... أدخلوا الإله آشور داخل القرص
- وأضافوا سهاماً ورموزاً عسكرية
- وجعلوه رمزاً قومياً للدولة

هذه أكبر سرقة رمزية في تاريخ المنطقة.

(2) سرقة نجمة الشمس الحورية (الـ 8 أو 16 شعاع)

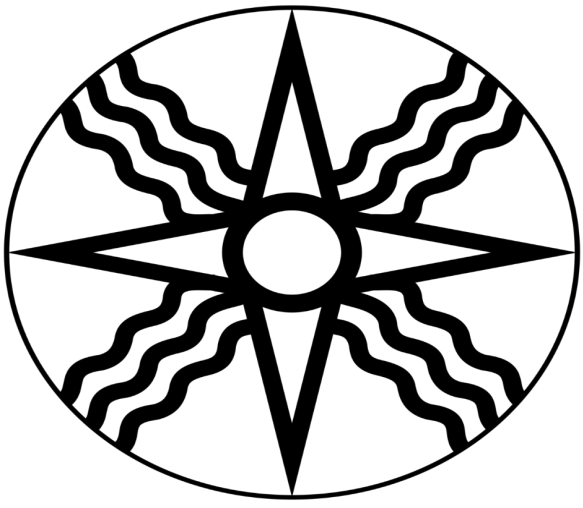

الأصل:

النجمة ذات الـ 8 أو 16 شعاعاً كانت رمزاً:

- للشمس
- للعدل
- لإله النور الحوري

النسخة الآشورية:

- تم وضعها على الأختام
- وعلى الرايات العسكرية
- وربطها بآلهة آشورية مثل شمش
- ثم دخلت حتى في العلم الآشوري الحديث (من دون الاعتراف بأصلها الحوري)

(3) سرقة الصقر الحوري وإعادة تفسيره كـ "طائر آشور"

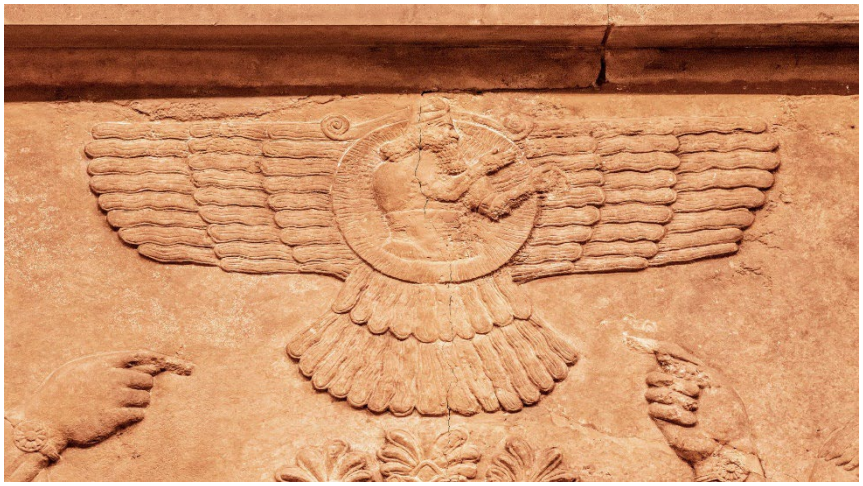

الأصل:

الصقر كان رمزاً لإله الشمس عند الحوريين.

النسخة الآشورية:

- تم وضع الصقر فوق القرص المجنّح
- وتم تفسيره بأنه "طائر الإله آشور"
- بينما أصله حوري بالكامل

رابعاً: كيف استخدم الآشوريون هذه الرموز سياسياً؟

هذه المرحلة هي الأخطر.
الآشوريون لم يسرقوا الرموز فقط... بل استخدموها كسلاح سياسي لبناء إمبراطوريتهم.

-1إعطاء ملك آشور شرعية إلهية

عندما يظهر الملك داخل القرص المجنّح:

- يعني أنه ابن الشمس
- وأنه مختار إلهياً
- وأن حكمه مقدس

بهذا فرض سلطته على الشعوب المحتلة

-2ادعاء أن آشور هو إله الشمس الحقيقي

حاول الآشوريون أن يقولوا:

"رموز الشمس هي أصلها آشوري، ونحن أصحاب النور."

والهدف:

- سرقة إرث الحوريين
- إلغاء تاريخهم
- فرض الثقافة الآشورية كأنها الأصل

3-استخدام الرموز على الأعلام والرايات العسكرية

الرموز الشمسية وُضعت على:

- خوذ الجنود
- الرايات
- مداخل المعابد
- الأسلحة
- الأختام الملكية

وكأن آشور "يحارب باسم الشمس".

4-إقناع الشعوب المحتلة بأن الإله آشور هو سيد الشمس

هذه خطوة ذكية من الآشوريين:

- لأن شعوب سوريا، حران، الأناضول، والحوريين كانوا جميعاً يقدسون الشمس
- فعندما يرون نفس الرمز على علم آشور قد يعتقدون أنه يمثلهم أيضاً

وبذلك سهّل الآشوريون دمج الشعوب في ثقافتهم.

الخلاصة الحاسمة

الاستخدام الآشوري	الأصل الحوري	الرمز
أصبح رمز الإله آشور والدولة	رمز الشمس الحورية	القرص المجنّح
دخلت في العلم الآشوري الحديث	إله الشمس الحوري	النجمة الشمسية
أصبح طائر آشور	رمز إله الشمس	الصقر
نسبها الآشوريون لأنفسهم	من الفن الحوري	الأجنحة

الآشوريون لم يبتكروا الرموز الشمسية... بل اقتبسوها من الحوريين ثم أعادوا تفسيرها لخدمة مشروعهم الإمبراطوري.

الآن مقارنة دقيقة وواضحة بالصور بين كل رمز حوري أصلي، والنسخة الآشورية التي اقتبسته، لكي ترى الفرق بعينك.

سأقسّم المقارنة إلى 4 رموز رئيسية:

1 القرص المجنّح
2 نجمة الشمس
3 الصقر الحوري
4 الأجنحة والزخارف

أولاً: القرص المجنّح – من الرمز الحوري إلى الرمز الآشوري

الأصل الحوري

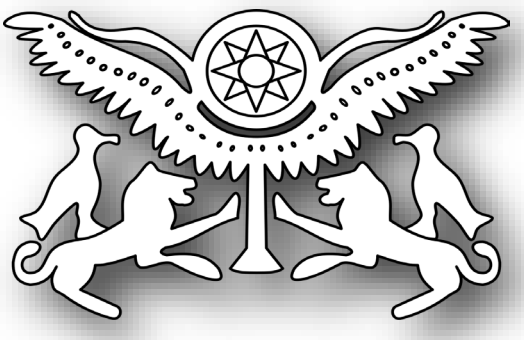

خصائص الرمز الحوري:

- قرص شمس بسيط
- جناحان أفقيّان طويلان
- بدون إله داخل القرص
- يرمز لإله الشمس الحوري (شيماش/شمش الحوري)
- منتشر في ميتاني، نوزي، أوركيش

النسخة الآشورية

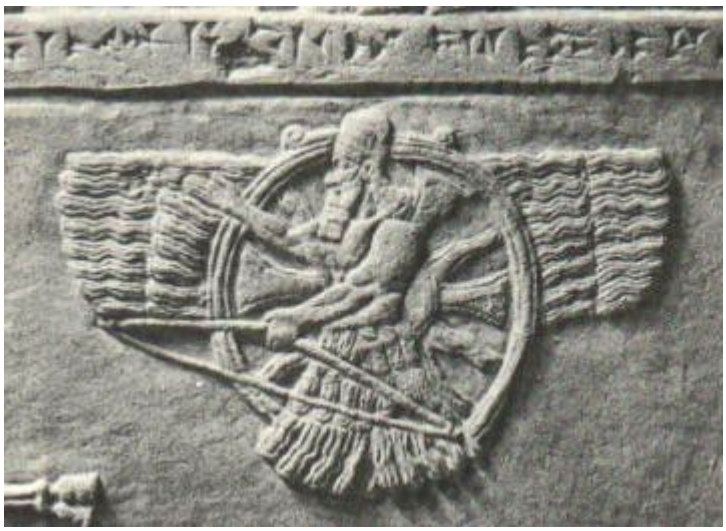

التغييرات التي قام بها الآشوريون:

- وضعوا الإله آشور داخل القرص
- أضافوا سهم / قوس / طائر كعناصر حرب
- استدار القرص وأصبح رمزاً ملكياً
- صار شعار الدولة الرسمي

الخلاصة:

نفس القرص
نفس الأجنحة
لكن تمت تخصيصه لآشور سياسياً ودينياً

ثانياً: نجمة الشمس – من الحوريين إلى الآشوريين

الرمز الحوري الأصلي

خصائصها:

- 8 أو 16 شعاعاً
- رمز الشمس الحورية
- موجود بكثرة على الأختام والتمائم الحورية

- يرمز للعدل والنور

النسخة الآشورية

ما فعله الآشوريون:

- أخذوا نفس النجمة الحورية
- ربطوها بإلههم شمش بصيغته الآشورية
- أصبحت جزءاً من النقوش الملكية
- وتم دمجها لاحقاً في العلم الآشوري الحديث

الخلاصة:

نفس شكل النجمة
المعنى انتقل من الإله الحوري إلى الآلهة الآشورية

ثالثاً: الصقر الحوري – تحوّله إلى طائر آشور

الرمز الحوري الأصلي

خصائصه:

- صقر إله الشمس
- رمز للقوة والنور
- منتشر في سوريا الشمالية والأناضول بين الحوريين

النسخة الآشورية

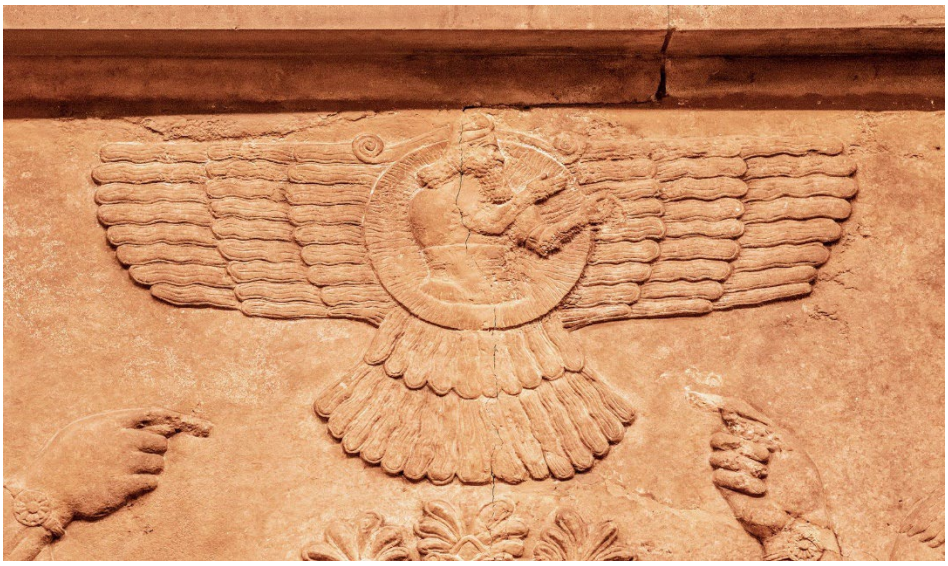

ما أضافه الآشوريون:

- دمجوا الصقر مع القرص المجنّح
- اعتبروه "طائر الإله آشور"
- استخدموه في الفنون العسكرية والملكية

الخلاصة:

الصقر نفسه
لكن تغيّر المعنى من "إله الشمس" ← "طائر آشور"

رابعاً: الأجنحة والزخارف الحورية ← النسخة الآشورية

الفن الحوري القديم

يظهر فيه:

- أجنحة طويلة
- أسلوب زخرفي ناعم
- خطوط أفقية من الحضارات الجبلية (زاغروس–الحورية)

النسخة الآشورية

ما فعله الآشوريون:

- تكثيف الريش
- تضخيم الأجنحة
- إضافة عناصر عسكرية
- تحويلها إلى شعار للقوة الإمبراطورية

النتيجة النهائية للمقارنة

التغيير	النسخة الآشورية	الأصل الحوري	الرمز
تحويله لشعار دولة	وضع الإله آشور داخله	رمز الشمس	القرص المجنّح
تغيير المعنى	ربطها بآلهة آشور	8–16 شعاع	نجمة الشمس
إعادة تفسير	طائر آشور	طائر الشمس	الصقر
تضخيم الرمزية	فن عسكري إمبراطوري	فن زخرفي	الأجنحة

الخلاصة الحاسمة للباحث

الرموز الشمسية ليست آشورية الأصل، بل حورية.
الآشوريون:

- أخذوا الرموز
- عدّلوا معانيها
- ووظفوها لبناء سلطة دينية وسياسية
- ثم سجّلوا التاريخ وكأنها إبداع آشوري

فصار الرمز الحوري يحمل معنى آشوري تماماً.

التسلسل الزمني لتبنّي الآشوريين للرموز الحورية الشمسية

1الحقبة الحورية – الميتانية (1800–1300 ق.م(مرحلة الأصل

- خلال هذه المدة ظهر الرمزان الأساسيان في حضارة الحوريين:
  الرمز الشمسي الحوري
  القرص المجنح الحوري (رمز إله الشمس شِمش / شيماش)
- كان استخدامهما دينياً–كونياً، مرتبطاً بالشمس، العدالة، الزمن، النظام الكوني.
- لم يكن للقرص المجنح أي شخصية بشرية داخله.

أهم ملامح هذه المرحلة:
الرمز شمسي بحت
لا يحمل شخصية إله آشور
مستخدم في ميتاني وفي مراكز الحوريين مثل نوزي، واشوكانّي
يُنقش فوق الملوك كـ"حامي السماء"

2. بدايات الآشوريين القديمة (1900–1500 ق.م)

مرحلة الاحتكاك بالحوريين وليس الاقتباس بعد

- الآشوريون هنا كانوا كياناً صغيراً في أعالي دجلة.
- لم يكن لديهم رموز مستقرة أو فن رسمي بعد.
- كانت تجارتهم مع الحوريين قوية، ومع ذلك لم يظهر أي رمز آشوري خاص بعد.
- لم يُعرف بعد "القرص المجنح الآشوري".

3. عصر ميتاني–آشور المبكر (1450–1300 ق.م)

مرحلة الاقتباس الأولى

- بعد توسّع الدولة الميتانية الحورية، سيطرت على شمال بلاد الرافدين.
- هنا بدأ الآشوريون يأخذون:
  الأزياء الحورية
  الشعائر
  الرموز الشمسية
- ويظهر لأول مرة قرص مجنح قريب من الحوري، ولكن بلا شخصية إله آشور.

التغيير الأول:
الآشوريون استخدموا الرمز كـ زخرفة ملكية
وليس كرمز ديني رئيسي كما عند الحوريين.

4. انهيار ميتاني وصعود آشور (1300–1200 ق.م)

(مرحلة الاقتباس السياسي الواضح)
بعد أن قضى الآشوريون على ميتاني، حدث الآتي:

المرحلة المفصلية

تبدأ إضافة شخصية بشرية داخل القرص المجنح لأول مرة في التاريخ.

ماذا يعني ذلك؟

- الآشوريون وضعوا إلههم آشور داخل القرص الحوري الأصل.
- هذا تحويل رمزي خطير لأنه:
  جعل آشور إله الشمس الأعلى
  ووضعه فوق الملوك، كأنه يمنحهم السلطة
  وأصبح الرمز إعلاناً أن آشور هو "سيد الكون"، وهو ما لم يكن موجوداً في الفكر الحوري

5. العصر الآشوري الحديث (900–600 ق.م)

(مرحلة التثبيت الرسمي للرمز الآشوري الجديد)

هنا يصبح:

القرص المجنح = الرمز الرسمي للدولة الآشورية

لكن لاحظ:

العنصر	النسخة الحورية الأصلية	النسخة الآشورية
القرص	شمسي فقط	شمسي + مقدّس لإله آشور
الشخصية	لا يوجد	رجل (الإله آشور) يمتد بيده
الوظيفة	حماية كونية	شرعنة الملك والحروب
المعنى	نظام كوني	تفويض إلهي بالتوسع

وهو أكبر تغيير رمزي في تاريخ بلاد الرافدين.

خلاصة التواريخ بدقة

الحدث	السنة
ظهور الرموز الشمسية الحورية (الميتانية)	1800–1500 ق.م
اقتراض آشوري مبدئي دون تغيير	1500–1350 ق.م
وضع إله آشور داخل القرص لأول مرة	1300–1200 ق.م
تثبيت القرص المجنح الآشوري كرمز دولة وتوسع	900–600 ق.م

سأقدّم لكم شرحًا مفصّلًا ومنظّمًا يشرح كيف قامت الحضارة الآشورية على أنقاض الآخرين: الآليات العملية، المنهجية السياسية–الدينية، والأدلة الأثرية والنصية. سأضع أمثلة تاريخية محفورة بالنقوش أو موثقة بالنقوش واللوحات لتدعم كل نقطة.

سأقسم الشرح إلى: (1) أدوات القهر العسكري، (2) سياسات ما بعد الغزو (ترحيل، إعادة توطين، نهب)، (3) إدارة الإمبراطورية وتوظيف البنية التحتية، (4) الاستيلاء الرمزي والثقافي (بما في ذلك سرقة الرموز الدينية)، و(5) أمثلة موثّقة. بعد كل جزء رئيسي أضع مرجعًا إلكترونيًا واحدًا أو اثنين يدعمهما.

1 أدوات القهر العسكري — كيف دُمرت مدن وحضارات فعليًا

الآشوريون امتلكوا جيشًا منظّمًا ومتدرّبًا، استخدموا تكتيكات متطورة للحصار (بناء منجنيق، ركام ترابي لتسلق الأسوار)، والهجوم المنظّم على مرافق الدفاع، إلى جانب ما يمكن تسميته بـ«حروب الرعب» لِكسر إرادة السكان قبل القتال. النقوش واللوحات الجدارية في قصور الحكام تصوّر عمليات حصار، تعذيب، وشنق الأسرى — وكلها كانت تُستخدم أيضًا كأداة دعائية لردع المدن الأخرى.

2 سياسة ما بعد الغزو: الترحيل المنهجي وخلط السكان

أحد أعمدة السيطرة الآشورية كان الترحيل المنظم (mass deportation). الدولة الآشورية لم تكتفِ بالهزيمة العسكرية، بل كانت تنقل أجزاء كبيرة من السكان (نخبة و/أو عموم السكان) من مناطقهم إلى مناطق بعيدة داخل الإمبراطورية، وفي المقابل تنقل مجموعات أخرى إلى أماكنهم. هدف ذلك: تفكيك الهوية المحلية، منع الانتفاضات المستقبلية، توزيع اليد العاملة حيث تحتاجها الدولة، وخلق «مجتمعات مختلطة» تجعل أي عودة إلى التماسك القومي أصعب. هذه الممارسة موثّقة بوضوح في النقوش والوثائق الملكية ونماذج أثرية من بلاد الشام.

3 النهب الاقتصادي واستخلاص الموارد — بناء الإمبراطورية مادياً

الآشوريون نهبوا معالم المدن (تماثيل، بوابات، عتاد)، وأخذوا الحرفيين والمهندسين، واستولوا على مخازن الحبوب والماشية والموارد الثمينة. المواد المنقولة استخدمت لتمويل مشاريع بناء ضخمة (قصر الملك، معابد، قنوات ريّ) وبذلك تحولت غنائم المدن المهزومة لركائز للازدهار الآشوري. هذه الدورة الاقتصادية (تدمير → نقل موارد → إنشاء مشاريع آشورية) سمحت لهم ببناء مركزية قوية في نينوى وآشور.

4 الإدارة الإمبراطورية: إعادة إعمار على طراز آشوري وشرعنة الحكم

بعد تفكيك النُظم المحلية، كانت الآليات الإدارية الآشورية تملأ الفراغ:

- تعيين محافظين آشوريين أو موالين (governors) يديرون المدن الجديدة.
- قوانين ضريبية جديدة وربط المناطق بشبكة إدارية مركزية.
- إعادة بناء المدن وفق مخططات آشورية: قصور، معابد مكرسة لآلهة آشور، مراكز تخزين.
- إدماج الحرفيين المنقولين في مشاريع الدولة الكبرى.

النتيجة: مدينة قديمة تُعرضت للتدمير قبل أن تتحول تدريجيًا إلى مركز يخدم الإمبراطورية الآشورية. هذه العملية مذكورة في السجلات الملكية عند ذكر «إعادة إبقاء المدينة طاهرة» أو «إعادة بناءها باسم آشور.

5 الاستيلاء الرمزي والثقافي — طمس هوية الآخر وتحويل الرموز لصالح آشور

الخطوة التي تُكمل التدمير المادي هي الاستيلاء على الرموز الدينية والثقافية:

- أخذوا تماثيل آلهة المدن و«سجنوا» آلهة البلد بالانتقال إلى نينوى (فضلاً عن حرق المعابد أحيانًا) — رسالة صريحة: إلهكم هُزم، وآشور هو القوّة العليا.
- تبنّوا رموزًا فنية ودينية (مثل القرص المجنّح أو نجوم/رموز شمسية) وأعادوا تفسيرها لتصبّ في المشروعية الدينية والسياسية للملك الآشوري.
- النقوش واللوحات الرسمية صوّرت الملوك كمنفذين لإرادة آشور الإلهيّة، ما جعل القهر يظهر كتنفيذ لشرعية سماوية وليس مجرد احتلال.

بهذه الطريقة تُمسح الذاكرة الرمزية للمجتمعات المغلوبة ويحلّ مكانها سرد آشوري موحّد.

6 الحرب النفسية والدعاية البصرية — النقوش واللوحات كأسلحة سياسية

اللوحات الجدارية (مثل لوحات حصار لاكيش / لاخيش أو مشاهد شدائد الأسر) كانت معروضة في قصور الملوك لعدة أسباب:

1. تخويف أي خصم محتمل برؤية العقاب الذي ينتظر المتمردين،
2. إعادة كتابة التاريخ بطريقة تُمجّد الانتصار الآشوري،
3. تعميق الإحساس بأن الملك «حاكم مقدّس» وفعّال.

مثال واضح: نقوش حصار لاخيش التي تصور كيفية بناء السدّ الترابي، سقوط المدينة، وسوق أسرى — تُعدّ مادة دعائية متقنة.

7 أمثلة موثّقة (نقاط تطبيقية لما سبق

- سنة 689 ق.م — سنحاريب وتدمير بابل: سنحاريب يفتخر في نصوصه بسَوْي بابل بالأرض بعد ثورات واصفًا ذلك كعقاب إلهي وكمصدر لشرعية سلطته على بلاد الرافدين، ثم تلا ذلك إعادة إعمار لاحقة بأمر سلالة لاحقة للتطبيع.
- القرن السابع ق.م — آشوربانيبال وتدمير السوسيين/الليلَام: نقوش آشوربانيبال تحتفي بانتهاء قوة العيلاميين (Susa/Hamanu) وتصف إحراقًا ونهبًا وهزيمة كلية — دليل على كيفية محو مركز حضاري قائم.

- 722/720 ق.م — سرجون الثاني وسامرة (مملكة إسرائيل الشمالية): سرجون يذكر سَبْيًا واسعًا لنخبة ومواطني السامرة ونقلهم إلى أماكن بعيدة، مع إدخال شعوب أخرى إلى أرضهم كجزء من سياسة التهجين السكاني لمنع الانتفاضة. هذا ما يفسّر لماذا تغيّرت البُنى السكانية والثقافية لتلك المناطق لاحقًا.
- حصار لاخيش (701 ق.م): مثال توثيقي ممتاز يربط النقش الأثري بالواقع الأثري في الموقع ويُظهر التكتيك العسكري، النهب، واستعراض الأسرى.

8- النتيجة الهيكلية: لماذا بُنيت الحضارة الآشورية على أنقاض الآخرين؟

لأن الآشوريين اتبعوا مزيجًا من:

- القوة العسكرية المنسّقة والمتطوّرة،
- سياسة ترحيل مُمنهَج لقطع صِلات الهوية،
- نهبٍ اقتصادي وجلب مهارات لبناء مركَز إمبراطوري،
- إعادة تفسير ديني وثقافي لشرعنة الحكم،
- ودعاية بصرية تجعل من القهر أمراً مشروعًا إلهيًا.

بهذه الدوائر المتراصة — دُمِر الطرف الأول، واستُخدمت موارده وهويته لبناء المركز الآشوري الجديد.

- مقتطفات مترجمة من نقوش سنحاريب و آشوربانيبال
- النصوص الأكادية الأصلية (بقدر المتاح علميًا)
- تحليل دقيق لكل نصّ: ماذا يعني؟ لأي غرض سياسي/ديني؟ وكيف يدخل ضمن موضوع *قيام الحضارة الآشورية على أنقاض الآخرين*

النقوش الملكية الآشورية كأداة لشرعنة التدمير وإعادة بناء السلطة

النقوش الآشورية الملكية ليست مجرد سرد حربي، بل هي وثائق سياسية–دينية هدفها بناء صورة موحّدة:
الملك الآشوري هو الذراع الأرضية للإله آشور، وكل تدمير أو غزو هو «تنفيذ إرادة إلهية».
من خلال دراسة نصوص سنحاريب وآشوربانيبال، نستطيع أن نرى بوضوح كيف استُخدم الكتابة الرسمية لشرعنة:

- تدمير مدن
- نهب حضارات
- أسر شعوب
- الاستيلاء على الرموز الدينية والثقافية
- فرض سردية جديدة على التاريخ

القسم الأول: نقوش سنحاريب — "أنا الذي دمرت بابل"

1) نص سنحاريب حول تدمير بابل (689 ق.م)

النص الأكادي (مُقتطف مشهور من حوليات سنحاريب):

“a-na kaṣ-ri-ia a-laq-qi-ši-ma
a-di šap-li-ši u-el-li-ik
ša-maš-šú u-mat-ti-ti-ma
ina mê u-nam-mer-ma šá libbi-ša
”.ka-ma-mu ana uš-ša-ab-bi

الترجمة العربية:

“بقوّتي كسرتُها، وسوّيتُها بالأرض.
دمّرتُ أبنيتها العالية والمنخفضة،
وألقيتُها في الماء،
ومسحتُ من قلبها كل أثر،
وجعلتُها كأنها لم تكن.”

التفسير والتحليل:

- النص يستخدم صياغة واضحة: المحو الكامل (erase, destroy, drown).
- هذه ليست عملية عسكرية فقط؛ بل محاولة محو هوية مدينة بابل التي مثّلت مركز حضارة منافسة.
- إلقاء الأنقاض في الماء هو رمز آشوري قديم يعني *إلغاء وجود المدينة زمانيًا ومكانيًا*.
- الرسالة السياسية:
لا وجود لهوية أخرى أمام آشور.

لماذا هو دليل على أن الآشوريين بنوا حضارتهم على أنقاض الآخرين؟

لأن سنحاريب لم ينهب فقط، بل محا مركزًا حضاريًا كاملاً ليؤكد سيادة آشور. لاحقاً، أعيد توطين السكان، ونُقلت ثروات بابل إلى نينوى لتوسيع قصوره وقنواته.

2) نص آخر من سنحاريب حول الترحيل والسيطرة

النص الأكادي:

“amēlūti ša lā išû šul-mu
ana māt Aššur ú-te-er
”.kīma ša sîri ušēṣišunu

الترجمة:

“الناس الذين لم يعرفوا السلام
أعدتهم إلى أرض آشور،
وسُقتهم كما تُساق الحيوانات.”

التفسير:

- يعترف الملك صراحةً بسياسة الترحيل الجماعي.

- التشبيه بالحيوانات ليس صدفة: إنه جزء من *الدعاية* لتصوير الشعوب الأخرى بأنها أدنى.
- هدفه تفكيك الهويات المحلية واستخدام السكان لبناء منشآت آشورية.

القسم الثاني: نقوش آشوربانيبال — "أنا الذي دمّر عيلام"

-1النص حول تدمير مدينة سوسة العيلامية (Elam)

النص الأكادي (من حوليات آشوربانيبال، الحملة على عيلام):

"a-lam-ti rabîti šá Elamti
uš-te-qi-lam-ma
ki-ma me-lam en-lil uš-te-bi-il
ina giš-gišimmari uš-te-pe-ši
māt Elamti uš-kil."

الترجمة العربية:

"المدينة الكبرى، سوسة،
اقتحمتُها بقوة،
وبددتُ بهاءها كما يبدّد إنليل النور،
وحطّمتُ قصورها بالفؤوس،
وجعلتُ أرض عيلام خربة."

التفسير:

- آشوربانيبال يُظهر نفسه كإله يوم القيامة لعيلام.
- التشبيه بإنليل (الإله السومري الأعلى) يعطي شرعية «سماوية» للتدمير.
- ارتبطت هذه الحملة بتشتيت السكان، ونهب مكتبات سوسة، وحرق المراكز الدينية.

2) نص مشهور يصف محو الحضارة العيلامية بالكامل

النص الأكادي:

"māt Elamti ana šapliš uš-te-bi-il
šavû u kalû uš-te-le-q
šikar u mimmû iš-ta-kan-ma
giš-šanû iš-ku-un
mātu šunu lišš̄û ul-tu šul-mu."

الترجمة:

"أزلتُ أرض عيلام إلى الأسفل،
وسرقتُ غنائمها كلها،
وجعلتُ خمرها وطعامها نهبًا،
وتركتُ حقولها مليئة بالأشواك،
حتى لم يبقَ فيها سلام أو حياة."

التحليل:

- يصف «فراغًا حضاريًا» intentional cultural annihilation
- جعل الأرض قاحلة هو إعادة رسم بيئة العدو كعلامة على انتهاء حضارته.
- بعد هذه الحملة، نُقلت آلاف الغنائم والأسرى إلى نينوى، مما عزز الاقتصاد والبناء فيها.

القسم الثالث: كيف تُظهر هذه النصوص منهجية آشورية واضحة؟

1) التدمير المادي

النقوش تصف:

- إحراق المدن
- هدم الأسوار
- إزالة الرموز الدينية
- حرق "بيوت الملوك" كي لا تقوم سلطة بديلة

2) المحو الثقافي

النصوص تعد بمحو ذكر الشعوب:
"جعلتُ ذكرهم يُمحى من تحت السماء."
هذه الجملة تتكرر كثيرًا.

3) إعادة البناء لصالح آشور

بعد التدمير:

- تُرسل الموارد إلى نينوى
- تُجلب العمال والمهندسون
- تُعاد كتابة تاريخ المدينة في النقوش الآشورية

4) الشرعنة الدينية

كل تدمير يتم تقديمه على أنه أمر من الإله آشور:
"آشور أمرني، ففعلت."
هذه الصياغة جعلت التوسع مقدّسًا.

الخلاصة التحليلية

من خلال قراءة هذه النصوص بدقّة، نكتشف أنّ الآشوريين:

1. لم يكونوا مجرد قوة عسكرية، بل قوة إعادة هندسة حضارية.
2. التدمير لديهم لم يكن هدفًا فقط، بل مرحلة أولى لبدء «حياة آشورية» جديدة.
3. نهب المدن ونقل سكانها وربط كل ذلك بإرادة الإله آشور خلق منظومة تسمح لهم ببناء حضارتهم على أنقاض حضارات أقدم (بابل، عيلام، مدن آرامية وحورية وغيرهم

الآشوريون وبناء الهوية على الميراث الحوري–السوبارتي

دراسة أكاديمية في تاريخ الاستيلاء الثقافي في شمال ميزوبوتاميا

تشير المصادر التاريخية المبكرة إلى أنّ شمال بلاد الرافدين كان موطنًا للحوريين والسوبارتيين قبل ظهور الآشوريين بزمن طويل. فقد ازدهرت الممالك الحورية في نوزي وأوركيش وواشوكاني خلال الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وهو ما يؤكده مايكل روف في دراسته عن نوزي، وكذلك ديفيد شنايدر في أبحاثه حول أوركيش. ظلّ هذا الحضور الحوري واضحًا في العمارة والدين والفنون، حتى بعد صعود آشور كقوة سياسية وعسكرية. ومع توسّع السلطة الآشورية في المنطقة، نشأ شكل من الاستيلاء الثقافي المنظّم، هدفه امتصاص التراث الحوري–السوبارتي وإعادة صياغته ضمن الهوية الآشورية الناشئة.

تتّضح جذور هذا الاستيلاء من خلال دراسة الرموز الدينية والشمسية التي ورثها الآشوريون عن الحوريين. يوضح إيغار سيڤان في تحليله للرموز الشمسية أنّ القرص المجنّح الحوري كان رمزًا سماويًا مرتبطًا بآلهة النور لدى الحوريين مثل هيبات، وأن الشكل الأصلي للقرص بشقيه الجانبيين يظهر في مواقع حورية مبكرة قبل ظهوره في النقوش الآشورية. وعندما بدأ الآشوريون بنحت القرص على جدران القصور، أضيفت إليه هيئة الإله آشور داخل القرص، في محاولة لربط الرمز القديم بالسلطة الملكية الجديدة. وتشير الباحثة كارن رادنر إلى أن هذا التحوّل لم يكن مجرد تطور فني، بل محاولة سياسية وطقسية لجعل الرموز الحورية جزءًا من خطاب الهيمنة الآشورية.

لا يقلّ تأثير الميراث الحوري وضوحًا في الهندسة والعمارة. تبين الحفريات الأثرية في أوركيش ونوزي أن الأسلوب الحوري في بناء القصور ذات القاعات المستطيلة والعناقيد الأعمدية سبق القصور الآشورية اللاحقة في كالخو وخورسباد. ويرى ديفيد ستروناخ أن تخطيط قصر سرجون في دور–شروكين يحمل بصمات حورية واضحة، خصوصًا في طريقة تنظيم الفضاءات الداخلية والبوابات المحفوظة بالتماثيل الحارسة. وقد فسّر بعض الباحثين هذه الظاهرة باستمرار الحرفيين الحوريين في أداء وظائفهم داخل إطار الدولة الآشورية بعد خضوعهم القسري، ما أدى إلى انتقال الأنماط المعمارية إلى العمارة الرسمية الآشورية.

في جانب الفنون، يظهر الاستحواذ بجلاء في تحول المخلوق الحوري الحارس، المعروف في النصوص القديمة باسم "لاماشا"، إلى النسخة الآشورية الشهيرة المعروفة بـ "لاماسو". توضح أبحاث هانز هاتزفيلد أن أقدم النماذج التصويرية لهذا الكائن موجودة في الفن الحوري–الهوري المتأخر، وأنه كان يمثّل كائنًا جبليًا ذا وظيفة حامية. حين تبناه الآشوريون، أُعيد نحته بشكل ضخم وجريء يتناسب مع خطاب القوة الملكية، مع المحافظة على العناصر الحورية الأساسية، كالجسد الحيواني والأجنحة ورأس الإنسان. ومن خلال هذا التحوير اكتسب الرمز وظيفة جديدة: تجسيد سلطة الدولة الآشورية بدلاً من دوره الأصلي كحامٍ للمعبد والبيت.

يبرز الاستيلاء الثقافي كذلك في طريقة كتابة التاريخ داخل النقوش الملكية الآشورية. فالنقوش التي يخلّد فيها ملوك آشور انتصاراتهم تصف الأراضي الحورية بأنها جزء أصيل من مملكة آشور، وتقدم السكان الأصليين كتابعين يتم نقلهم كأسرى أو حرفيين. وترى ستيفاني دالي أن هذه اللغة ليست مجرد وصف للحملات العسكرية، بل جزء من سردية مقصودة تهدف إلى محو الذاكرة الحورية واستبدالها بذاكرة آشورية. ما يجعل هذا الأمر أكثر وضوحًا هو أنّ كثيرًا من المدن التي يعيد الآشوريون بناءها كانت في أصلها مدنًا حورية، كمدينة واشوكاني التي يشير إدوارد غرين إلى أنها دُمّرت في إحدى الحملات الآشورية ثم أُعيد استخدام موقعها في العصر اللاحق.

إحدى أهم نتائج هذا التفاعل القسري هي أن الهوية الآشورية النهائية كانت مزيجًا معقّدًا من عناصر محلية وآخرى موروثة من الحوريين والسوبارتيين. وهذا ما يفسّره ماريو ليفيراني حين يصف آشور بأنها دولة قامت على «إعادة تدوير سياسية وثقافية» لميراث الشعوب الخاضعة لها. لم يكن الآشوريون مجرد محاربين متفوقين، بل كانوا أيضًا جامعين للرموز، قادرين على تطويع التراث المحلي لخدمة خطابهم الإمبراطوري.

على الرغم من أن الآشوريين صاغوا سردية تاريخية تعطيهم دور الأصل والريادة في شمال الرافدين، فإن مجمل الدراسات الحديثة، من ميغيل سيفان إلى ديفيد شنايدر وكارن رادنر، تؤكد أن جذور كثير من الرموز والأنماط الفنية والدينية الآشورية تعود إلى الشعوب الحورية–السوبارتية الأقدم حضورًا في المنطقة. وما يُسمّى اليوم بالفن الآشوري الكلاسيكي ليس إلا امتدادًا محوّرًا لذاك التراث، أعيدت صياغته تحت سلطة نظام ملكي شديد المركزية. وهكذا، فإنّ فهم الحضارة الآشورية لا يكتمل إلا من خلال فهم الحضارة الحورية التي سبقتها وأمدّتها بالأدوات الرمزية والفنية التي بُني عليها مشروع آشور السياسي

واشوكاني

العاصمة الحورية الخالصة وبوابة الحضارة السوبارتية في شمال الرافدين

تُعدُّ واشوكاني إحدى أهم المدن الضائعة في تاريخ الشرق الأدنى القديم، وهي العاصمة السياسية لمملكة ميتاني الحورية في ذروة ازدهارها. تعكس المصادر الأكادية والحيثية والأبحاث الأثرية الحديثة أن المدينة كانت مركزًا حوريًا خالصًا، لا في الهوية فحسب، بل في اللغة والديانة والفنون والتنظيم السياسي. وقد ساهم موقعها الاستراتيجي عند منابع الخابور في جعلها منارة للحضارة السوبارتية خلال الألف الثاني قبل الميلاد.

يرى الباحث إيغار سيڤان أن اسم واشوكاني يحمل جذورًا لغوية حورية صرفة، إذ يرتبط باللفظ الحوري الدال على «النبع» أو «الماء المتدفّق»، وهو ما يتناسب تمامًا مع طبيعتها الجغرافية. ويشير ديفيد شنايدر إلى أن شبكة قنوات الري حول المدينة تشكّل نموذجًا هندسيًا متقدمًا سبق النظم المائية الآشورية اللاحقة، ما يدل على أن الحوريين طوّروا طرائق متقدّمة في استغلال المياه قبل ظهور آشور بزمن طويل.

في بنية السلطة، حافظت واشوكاني على طابع حوري واضح قائم على تحالف الأسر الحاكمة الحورية التي تربطها علاقات قرابة مع ملوك أوركيش ونوزي. ويتضح هذا في المعاهدات الدبلوماسية التي عُقدت مع الحيثيين، حيث يرد ذكر الملك الحوري شوشتاتار باعتباره «سيد واشوكاني» بلقب حوري لا أثر فيه للنفوذ الآشوري أو الأكادي. لقد كانت المدينة مركزًا سياسيًا يدير شبكة واسعة من التبعيات والممالك الحورية، ما يجعلها أشبه بعاصمة فيدرالية تضم حضارة ذات امتداد جغرافي وروحي عميق.

أما من الناحية الدينية، فقد مثّلت واشوكاني مركزًا لعبادة الآلهة الحورية الكبرى، مثل كوماربي وتيشوب وهيبات. وتشير كارن رادنر إلى أن الطقوس التي كانت تُقام في عاصمة ميتاني تحمل عناصر جبليّة وسماوية تمتد جذورها إلى المعتقدات السوبارتية الأقدم، وبخاصة رموز الشمس والجبال. وقد احتفظت واشوكاني بخصوصيتها الدينية حتى بعد سقوطها، إذ استمر تأثيرها في المعابد الحيثية في حتوسا، التي تبنت آلهة حورية كاملة ضمن منظومتها.

في الجانب الثقافي، يظهر تأثير واشوكاني في انتشار اللغة الحورية بوصفها لغة دبلوماسية وإدارية. فالرسائل المكتشفة في تل العمارنة، والمكتوبة بلغات متعددة، تضم نصوصًا حورية أرسلها ملوك ميتاني إلى الفراعنة، وهو ما دفع الباحث كريستوفر وودز إلى القول بأن الحورية كانت لغة دولية في تلك المرحلة، وأن واشوكاني كانت المركز الذي انطلقت منه هذه اللغة نحو مصر والأناضول وعموم الشرق الأدنى.

تعكس البقايا الأثرية في مناطق الخابور وما حولها نمطًا فنيًا متفرّدًا يُعرف بـ«الأسلوب الحوري المتأخر»، وهو أسلوب يتجلى في الحلي البرونزية والنقوش الحجرية والتماثيل الحارسة ذات الطابع الجبلي. وقد أظهرت مقارنة هانز هاتزفيلد بين هذا الأسلوب وبين النحت الآشوري لاحقًا أنّ العناصر الحورية الأصلية انتقلت من خلال واشوكاني إلى الفنون التي ازدهرت في آشور، خصوصًا في المخلوقات الحارسة والرموز الشمسية. وهذا يعزز القول بأن التأثير كان ثقافيًا عميقًا، وليس مجرد مبادلات تجارية.

تاريخ سقوط واشوكاني يعكس حجم الصراع على هذه العاصمة. فقد قاد الملك الحيثي شوبيلوليوما حملة واسعة ضد ميتاني، ويشير ماريو ليفيراني إلى أن الهدف لم يكن فقط السيطرة العسكرية، بل الاستحواذ

على الرموز الحورية بما تمثله من قوة سياسية وروحية. سقطت المدينة في نهاية المطاف، وتعرّضت لموجات من التدمير وإعادة البناء، حتى اختفت ملامحها تدريجيًا في العصر الآشوري اللاحق، حيث استغل الآشوريون مواقعها ومحيطها بعد إفراغها من سكانها الأصليين.

على الرغم من ضياع موقع واشوكاني بدقة حتى اليوم، فإن إجماع الباحثين يربطها بالمناطق الواقعة قرب رأس العين وتل فخيرية. وقد كشف أرشالويان وفريقه الأثري عن أدلة تشير إلى وجود مركز إداري حوري كبير في تلك المنطقة، ما يعزز فرضية أن العاصمة الحورية كانت جزءًا من هذا الامتداد، وأنها ربما دُمّرت على يد الآشوريين قبل إعادة استغلال محيطها بوصفه منطقة استراتيجية.

تظل واشوكاني رمزًا للحضارة الحورية – السوبارتية في أوجها، وعاصمة تجمع بين السياسة والدين والفن في صورة واحدة. إن دراسة هذه المدينة ليست مجرد بحث في تاريخ مملكة ضائعة، بل محاولة لفهم الدور العميق الذي لعبته الشعوب الحورية في تشكيل هوية شمال الرافدين. ومن خلال واشوكاني نستطيع قراءة تاريخ ما قبل آشور، ومعرفة كيف أثّرت الحضارة الحورية في من جاء بعدها، وما الذي يجعلها حتى اليوم من أعظم المدن المفقودة التي تنتظر اكتشافًا يعيد لها مكانتها في سجل الحضارات.

نوزي وأوركيش

*جوهرتا الحضارة الحورية وركيزتا الهوية السوبارتية في شمال الرافدين

تشكّل مدينتا نوزي وأوركيش محورين أساسيين لفهم الحضارة الحورية في أوجها، فهما تمثلان نموذجًا فريدًا لتطور المجتمع الحوري في مجالات الإدارة والعمارة والدين، إضافة إلى كونهما شاهدتين على عمق الجذور السوبارتية التي قامت عليها هذه الثقافة. وتعدّ هاتان المدينتان من أهم المراكز التي سبقت آشور سياسيًا وثقافيًا، وأسهمتا بصورة واضحة في تكوين هوية شمال بلاد الرافدين قبل بروز النفوذ الآشوري.

تُعدّ نوزي، الواقعة قرب مدينة كركوك الحالية، مركزًا حضريًا متقدمًا ترك لنا أحد أهم الأرشيفات الإدارية في الشرق الأدنى القديم. تُظهر الألواح المكتشفة في المدينة، والتي درسها الباحث إدوارد شيرا، نظامًا اجتماعيًا يقوم على الروابط العشائرية الحورية، وهو نظام ينظم الملكية الزراعية والضرائب وتوزيع الأراضي وفق قواعد حورية خالصة. ويشير ديفيد شنايدر إلى أن هذه الوثائق تكشف عن مجتمع منظم يتميز بوحدة اللغة والتقاليد، ما يدل على أن نوزي لم تكن مدينة مختلطة كما يُظن أحيانًا، بل مركزًا حوريًا ذا هوية واضحة. وتبدو أهمية هذه المدينة أيضًا في أنها قدّمت نموذجًا إداريًا متقدمًا، انتقلت بعض عناصره لاحقًا إلى الأنظمة الإدارية الآشورية، خاصة فيما يتعلق بتنظيم العقود والملكية.

أما أوركيش، الواقعة في شمال شرق سوريا قرب تل Mozan، فهي تمثّل أقدم مدينة حورية معروفة حتى اليوم. تُظهر الحفريات التي قادها جورجيو بوتشيلاتي وزيدان بوتشيلاتي أن أوركيش كانت مركزًا دينيًا ونقطة تواصل روحي بين العالمين الجبلي والسهلي. وتعد المدينة من أقدم المراكز التي ظهرت فيها معابد حورية مخصّصة لعبادة الآلهة الكبرى مثل كوماربي وتيشوب وهيبات. وتميّزت أوركيش بوجود ما يعرف بـ"البوابة الأسفلية"، وهي منشأة معمارية ذات طابع طقسي فريد ترتبط بفكرة العالم السفلي في الميثولوجيا الحورية. ويرى بوتشيلاتي أن هذه البوابة تمثّل أحد أهم الأدلة على تطور الفكر الديني الحوري قبل ظهور أي تأثير آشوري أو أكادي في المنطقة.

في الجانب المعماري، تكشف أوركيش عن مستوى تقني متقدم في بناء القصور والبوابات الضخمة. ويشير الباحث ديفيد ستروناخ إلى وجود تشابه ملحوظ بين تخطيط قصور أوركيش وتخطيط القصور الآشورية اللاحقة، ما يؤكد أن العمارة الحورية كانت ذات تأثير عميق في التقاليد البنائية التي تبنتها آشور. ويبرز هذا التأثير أيضًا في المخلوقات الحارسة التي وجدت في أوركيش، والتي تُعدّ من أوائل النماذج الفنية لما عُرف لاحقًا باسم "لاماسو" في الفن الآشوري، لكن بصيغة حورية أصلية أقدم وأكثر رمزية.

تشترك نوزي وأوركيش في لعب دور أساسي في تشكيل الهوية الحورية السياسية والدينية. فقد كانت نوزي مركزًا للسلطة الإدارية التي تربط الريف الحوري بالنظام الملكي، بينما كانت أوركيش تمثّل قلب

الروح الحورية بما تحمله من ميثولوجيا ورموز وطقوس. ويلاحظ الباحث ماريو ليفيراني أن العلاقة بين هاتين المدينتين لم تكن مجرد علاقة جغرافية، بل كانت علاقة تبادل معرفي وثقافي، جعلت منهما محورين مشتركي التأثير في مملكة ميتاني اللاحقة. ومن خلال هذا الترابط تبلورت الهوية الحورية السوبارتية التي أثّرت بدورها في محيطها السياسي والثقافي.

رغم أن آشور ظهرت لاحقًا كقوة عسكرية مهيمنة، فإن التأثير الذي تركته نوزي وأوركيش على المنطقة كان أعمق وأطول زمنًا. فعناصر كثيرة من الفكر الإداري والفني والديني في الدولة الآشورية لها جذور حورية واضحة، سواء في تنظيم القصور أو في الرموز الطقسية أو في اللغة التي ما تزال تحمل أثر المفردات الحورية. وهذا ما تؤكده الدراسات الحديثة التي تعتمد على مقارنة النصوص الحورية مع النصوص الآشورية المبكرة، والتي يبرز فيها التشابه في المفردات والتراكيب.

إن نوزي وأوركيش ليستا مجرد مدن منسية في تاريخ الشرق الأدنى، بل هما ركيزتان لفهم الدور الحضاري للشعوب الحورية في بناء هوية شمال الرافدين. ومن خلال دراسة هاتين المدينتين يمكن إعادة رسم صورة تاريخ المنطقة قبل صعود آشور، وفهم كيف أن التراث الحوري شكّل الخلفية الثقافية التي بُني عليها الكثير من المظاهر الحضارية اللاحقة. وتظل نوزي وأوركيش شاهدتين على عصر حوري عظيم، يمتد تأثيره إلى ما بعد زواله السياسي، ليبقى جزءًا حيًا من هوية المنطقة حتى اليوم.

مصادر عن أوركيش (Urkesh / Tell Mozan)

Giorgio Buccellati & Marilyn Kelly-Buccellati
Urkesh and the Hurrian Culture
Published in: *Biblical Archaeologist* & UCLA Near Eastern Studies
– مؤلفا المشروع الأثري لأوركيش (تل موزان)، وهما أهم مرجع عالمي للحضارة الحورية.

Giorgio Buccellati
The Land of Urkesh: The Kingdom of Hurri, the Cradle of a Forgotten Civilization
– كتاب ضخم يوضح أن أوركيش كانت مركزًا حوريًا خالصًا، ويشرح البوابة السفلية والطقوس الدينية.

Marilyn Kelly-Buccellati
The Royal Palace of Urkesh (Tell Mozan)
– دراسة أثرية تثبت وجود القصور الحورية قبل أي أثر آشوري.

مصادر عن نوزي (Nuzi)

E. R. Lacheman & David I. Owen
The Nuzi Texts and Their Uses as Historical Evidence
– أهم دراسة حول ألواح نوزي، وتثبت أن المجتمع حوري ذو إدارة خاصة.

Edward Chiera
Joint Expedition with the University Museum and the American School of Oriental Research at Nuzi
– تقارير التنقيب الأصلية عن نوزي، وهي المرجع الأساسي لفهم المدينة.

David I. Owen
Cuneiform Texts from Nuzi
– تحليل النصوص الإدارية الحورية.

مصادر عن واشوكاني (Washukanni / Capital of Mitanni)

Trevor Bryce
The Kingdom of the Hittites
– يناقش معاهدات الحيثيين ويحدد واشوكاني كعاصمة حورية.

Michael C. Astour
The Hurrian and Mitannian Kingdoms
– من أهم كتب تاريخ الحوريين ويعطي أوصافًا دقيقة لعاصمة ميتاني.

I. Wegner
The Kingdom of Mittani
– يناقش موقع واشوكاني ودورها السياسي والديني.

Schwemer, Daniel
The Storm-Gods of the Ancient Near East
– يربط آلهة ميتاني (تيشوب وهيبات) بواشوكاني كمدينة دينية حورية خالصة.

مصادر عن الرموز والفنون الحورية والآشورية

Hans H. Hrouda
The Art of the Ancient Near East
– يوضح الأصل الحوري لبعض الرموز والشخصيات الأسطورية التي ظهرت لاحقًا عند الآشوريين.

Karen Radner
State Correspondence in the Ancient World
– تشرح كيف تبنى الآشوريون الرموز الحورية في خطابهم الملكي.

Mario Liverani
The Ancient Near East: History, Society and Economy
– يناقش «الاستيلاء الثقافي» الآشوري على ميتاني والحوريين.

Stephanie Dalley
Ancient Mesopotamian Military Organization
– تذكر استخدام الآشوريين للحرفيين الحوريين بعد التهجير.

مصادر عامة ومعتمدة عن الحوريين والسوبارتيين

Gernot Wilhelm
The Hurrians
– المرجع الأكاديمي الأول عالميًا عن الحوريين.
يؤكد:
• أن نوزي وأوركيش مركزان حوريان
• أنّ ميتاني دولة حورية
• أنّ الرموز واللغة والفنون حورية المصدر

J. G. Macqueen
The Hittites and Their Contemporary World
– يناقش علاقة الحوريين بالحيثيين ويصف واشوكاني كعاصمة حورية.

Trevor Bryce
Atlas of the Ancient Near East
– خرائط دقيقة عن موقع أوركيش ونوزي وواشوكاني.

مصادر تثبت تأثير الحوريين على الآشوريين

Simo Parpola
Assyrian Identity in Ancient Times
– يعترف بأن الرموز الدينية الآشورية تحمل جذورًا حورية.

Amélie Kuhrt
The Ancient Near East
تشير إلى نقل الآشوريين للحرفيين الحوريين واستعمالهم في البناء –.

David Stronach
Assyria: The Imperial Horizon
يثبت التشابه البنائي بين قصور أوركيش والعمارة الآشورية اللاحقة –.

ما الذي تثبته هذه المصادر؟

هذه الدراسات تُثبت ما يلي بشكل مباشر وبالحجج العلمية:

أوركيش مدينة حورية صافية
نوزي مركز إداري وثقافي حوري
واشوكاني عاصمة ميتاني الحورية
الرموز الآشورية (القرص المجنّح، النجمة، اللاماسو) لها **أصول حورية–سوبارتية**
أن آشور استوعبت التراث الحوري وأعادت صياغته
أن الحوريين كانوا القوة الثقافية الأقدم في شمال الرافدين

كيف مارس الآشوريون الاستيلاء الثقافي على الشعوب التي أخضَعوها؟

قراءة تاريخية في منهج "السرقة الحضارية" في الإمبراطورية الآشورية

عرفت الإمبراطورية الآشورية القديمة قوة عسكرية ضاربة، غير أن تفوقها الثقافي لم يكن نتيجة إبداع مستقل، بل نتيجة عملية منهجية قامت على امتصاص ميراث الشعوب التي سيطروا عليها. اعتمد الآشوريون على أسلوب واضح يقوم على الاستيلاء المعماري والديني والفني والإداري، ثم إعادة صياغة تلك العناصر كأنها جزء من هويتهم الخاصة. وهذا البعد الثقافي في التوسع الآشوري يفسر كيف تمكنت دولة محاربة من بناء صورة حضارية ضخمة اعتمادًا على ما ورثته من جيرانها وخاصة الحوريين والسوبارتيين والحثيين والبابليين.

أولى الآشوريون اهتمامًا كبيرًا للرموز الدينية للشعوب التي أخضعوها. فحين دخلوا مناطق الحوريين تبنوا الرموز الشمسية والنجوم المقدسة والآلهة الجبلية، ثم أعادوا رسمها في نقوشهم الملكية بإضافة هيئة الإله آشور داخل القرص المجنح، ليبدو الرمز وكأنه آشوري الأصل. لم يكن هذا التعديل بريئًا، بل كان خطوة سياسية تهدف إلى إقناع الشعوب بأن آلهتهم القديمة أصبحت جزءًا من "مجد آشور". وهكذا تحولت الرموز الحورية العتيقة إلى أدوات دعاية إمبراطورية، بينما ضاعت جذورها الأولى في الرواية الرسمية.

مارس الآشوريون الأسلوب ذاته في الفنون. فقد استعاروا أشكال المخلوقات الحارسة المنتشرة في الفن الحوري والسوبارتي، والتي كانت تُنحت لحماية المعابد، ثم أعادوا إنتاجها على هيئة ضخمة مهيبة لتقف على بوابات قصورهم. بهذه الطريقة تبدّل المعنى من رمز روحي إلى شعار قوة ملكية. وهذا النمط نفسه يظهر في الأسود المجنّحة، والمشاهد النباتية، والأنماط اللولبية والزخرفية، وكلها عناصر ذات جذور غير آشورية لكنها أصبحت لاحقًا مرتبطة بالفن الإمبراطوري المعروف.

وفي العمارة اتبع الآشوريون خطًا مماثلًا. كانوا يستولون على المواقع الحورية أو الحثية أو البابلية، ثم يعيدون بناءها بطراز يخلط القديم بالجديد. ويؤكد عدد من علماء الآثار أن تخطيط قصور آشور ونينوى يحمل أثرًا حوريًا واضحًا في تنظيم الساحات الداخلية والقاعات الطولية. كما أن النقوش التي تصف حملات الملوك الآشوريين تشير إلى ترحيل آلاف الحرفيين من المدن المحتلة، ليعملوا في بناء القصور والمعابد في العاصمة. ومع رحيل هؤلاء، كانت الأسرار المعمارية للشعوب الأصلية تنتقل معهم إلى قلب آشور.

لم يقتصر الاستيلاء على الفن والدين، بل شمل كذلك الإدارات والمؤسسات. إذ كان الآشوريون يفرضون لغتهم على الوثائق الرسمية، غير أنهم في كثير من الأحيان أبقوا على الأنظمة التي وجدوها في البلدان المحتلة. فالعقود العقارية والتجارية التي عرفتها نوزي وبابل، مثل عقود التبنّي الوظيفي وشراء الأراضي بالضمان العائلي، انتقلت في أجزاء منها إلى السياق الآشوري. هذه الأساليب القانونية لم يُبتكر معظمها في آشور، لكنها أدرجت ضمن سجلاتهم وظهرت كجزء من تقاليدهم البيروقراطية.

أما على المستوى السياسي، فقد عملت الإمبراطورية الآشورية على محو الهويات المحلية عبر تغيير أسماء المدن والقبائل وفرض أسماء آشورية محلها. وتذكر النقوش الملكية أن كثيرًا من الأراضي الحورية والسوبارتية كانت تُعاد تسميتها بعد الاحتلال، لتُظهر كأنها جزء من عالم آشور منذ الأزل. وكان الهدف من ذلك طمس الذاكرة المحلية واستبدالها بذاكرة رسمية تصوغها الدولة المنتصرة.

يظهر الاستيلاء كذلك في الأدب، إذ احتفظ الآشوريون بنصوص دينية وأساطير بابلية وسومرية قديمة، ثم أعادوها بصياغة آشورية. مثال ذلك إعادة تدوين ملحمة الخليقة البابلية، وبعض النصوص الطقسية التي أخذت من التراث السوبارتي والحوري. هذا التملك الأدبي ساعدهم على تقديم أنفسهم كحراس للحكمة القديمة، رغم أن أغلبها لم يُكتب في آشور أصلًا.

يجب النظر إلى كل هذه الممارسات كوحدة متكاملة. فالآشوريون لم يكونوا مجرد محاربين يبسطون سيطرتهم بالقوة العسكرية، بل كانوا مشروعًا سياسيًا هدفه بناء هوية إمبراطورية قوية، حتى لو كان ذلك عبر الاستيلاء على إنجازات الآخرين. وقد ساهم هذا النهج في خلق صورة حضارية ضخمة تبدو آشورية، لكنها في حقيقتها مركب طويل من العناصر الحورية والسوبارتية والحثية والبابلية، جُمعت تحت سلطة ملكية صارمة.

إن دراسة هذا الاستيلاء الحضاري تكشف أن آشور كانت دولة تعتمد بشكل كبير على تراث الشعوب التي سبقتها. ورغم محاولتها المستمرة لتقديم نفسها كصاحبة أصل واحد، فإن آثارها تشهد على العكس، إذ يتبين أن ما نراه اليوم من "الفن الآشوري" و"العمارة الآشورية" و"الرموز الآشورية" هو مزيج واسع من ميراث شعوب أخرى، أُعيد تشكيله ليتناسب مع خطاب القوة الإمبراطورية.

سقوط آشور بين نبوءة التوراة وشهادة الآثار

يمثّل سقوط الإمبراطورية الآشورية واحدًا من أكثر الأحداث حضورًا في الذاكرة الدينية والتاريخية لمنطقة الشرق الأدنى. فقد احتلت آشور مكانة القوة العظمى التي هزمت شعوبًا وأسقطت مدنًا، لكن النصوص الدينية، خصوصًا في أسفار الأنبياء، صوّرتها كقوة متغطرسة حادت عن دورها، فسقطت سقوطًا يصفه الكتاب المقدس بأنه عقوبة إلهية. وفي الوقت نفسه تكشف الحفريات الآثارية والوثائق المسمارية عن انهيار فعلي حدث بطريقة تشبه الوصف النبوي من حيث شدته ونتائجه. هكذا يتقاطع النص الديني مع الدليل التاريخي ليقدّما صورة مشتركة لنهاية دولة قامت على العنف وانهارت حين فقدت توازنها.

ترى النصوص التوراتية أن آشور لم تسقط مصادفة، بل لأن كبرياء ملوكها تجاوز الحد. في سفر إشعياء يصوّر الإله نفسه وهو يدين تعالي ملك آشور قائلا: «أعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه» (إشعياء 10: 12). هنا يظهر بوضوح أن المشكلة ليست القوة الآشورية ذاتها، بل الغطرسة التي تحوّلت إلى تحدٍّ لعدالة السماء. وفي موضع آخر يرد قول صارم: «أحطم أشور في أرضي وأدوسه على جبالي» (إشعياء 14: 25)، وهي عبارة تلخص حتمية الانهيار وتربطه بالإرادة الإلهية.

أما سفر ناحوم، فهو السفر الأكثر مباشرة في إدانة آشور ووصف سقوطها. يبدأ ناحوم خطابه من فكرة أن نينوى أصبحت نموذجًا للبطش، ثم يعلن الحكم الإلهي بقطع نسلها: «يوصي الرب عنك ألا يُزرع من اسمك في بُعد» (ناحوم 1: 14). هذا النص هو أوضح إعلان في التوراة عن انقراض الإمبراطورية الآشورية وعدم قيامها من جديد. ويتابع السفر وصف النهاية بقوله: «ليس جبر لكسرك. جرحك عديم الشفاء» (ناحوم 3: 19)، وهي صياغة تتسق مع ما اكتشفه علماء الآثار من طبقات دمار لم تُرمَّم بعدها

المدن الكبرى مطلقًا. ويضيف السفر بُعدًا أخلاقيًا حين يصوّر الأمم الأخرى وهي تصفق لسقوط نينوى، لأن الشر الآشوري مرّ فوق الجميع دون استثناء.

في سفر صفنيا نجد نبوءة شديدة الوضوح: «يمد يده على الشمال ويُبيد أشور، ويجعل نينوى خرابًا يابسة كالقفر» (صفنيا 2: 13). هذه الآية تجمع ثلاثة عناصر أساسية: اتجاه الهجوم، فكرة الإبادة، وطبيعة الخراب الدائم. واللافت أن نتائج الحفريات في نينوى وآشور تؤكد أن الدمار كان كاملاً، وأن المدينة لم تستعد دورها السياسي بعد القرن السابع قبل الميلاد، وهو ما يطابق صياغة النص الديني.

عند الانتقال إلى المعطيات التاريخية والآثارية، نجد أن مشهد سقوط آشور بدأ قبل عقود من انهيارها النهائي، حين دخلت الدولة مرحلة من الصراع الداخلي بين الأمراء والجنرالات، وازداد إنهاكها نتيجة الحروب المستمرة. ومع ظهور القوة البابلية بقيادة نبوبولاصر، وقيام الميديين بتوسيع نفوذهم في الشرق، أصبح ثقل الإمبراطورية الآشورية موزعًا على جبهات كثيرة لا قدرة لها على السيطرة عليها جميعًا. تكشف السجلات البابلية أن التحالف البابلي–الميدي لم ينقضّ على آشور فجأة، بل تقدّم نحوها تدريجيًا، فاستولى أولاً على مدينة آشور القديمة، ثم زحف باتجاه نينوى التي كانت قلب الإمبراطورية ومركز قوتها.

الحفريات التي قام بها لايارد ومن بعده بوتر وإيفانس أثبتت وجود طبقات واضحة من الحرق المتواصل والدمار الشامل الذي يوازي تمامًا وصف ناحوم لما جرى. فقد وُجدت المباني منهارة فوق بعضها، والجدران محترقة، والقصور مدمّرة بطريقة تشير إلى اقتحام تلاه حريق واسع. كما أن اختفاء الوثائق الإدارية في تلك الفترة يوضح توقف الجهاز السياسي للدولة، تمامًا كما تقول النبوءة «الضيق لا يقوم مرتين» (ناحوم 1: 9) أي أن آشور لن تتعافى ثانية

الرموز الدينية التي أغضبت الرب على الآشوريين

قراءة في الأيقونية الآشورية ونقدها في النصوص النبوية

احتلت الرموز الدينية في الدولة الآشورية مكانة مركزية في تعبيرها عن السلطة، وكانت هذه الرموز، في جوهرها، نتاج تفاعل طويل بين الإرث الحوري–السوبارتي وبين التوجه العسكري للدولة المركزية في آشور. ولكن النصوص الدينية في التوراة تنظر إلى هذه الرموز باعتبارها تعبيرًا عن كبرياء روحي وانحراف ديني، جعلا من آشور قوة متعالية تستحق الغضب الإلهي. ومن خلال مقارنة المادة الأيقونية الآشورية بالنصوص النبوية، يتبين أن النقد لم يكن تجاه القوة العسكرية وحدها، بل تجاه المعنى الديني الجديد الذي أضفاه الآشوريون على رموزهم.

يأتي في مقدمة هذه الرموز القرص المجنح الذي أصبح شعارًا رسميًا على جدران القصور والبوابات الملكية. نشأ هذا الرمز في جذوره الأولى داخل المجال الحوري كرمز للشمس والإلهة هيبات ثم اندمج في تقاليد ميتاني، لكن الآشوريين أضافوا إليه عنصرًا جديدًا حين وضعوا صورة الإله آشور داخل القرص، في هيئة رجل يحمل القوس أو يرفع يده بالتجلي. هذا الدمج بين الرمز السماوي والصورة البشرية أعطى للملك الآشوري شرعية تكاد تكون مقدسة، حتى بدا أن السلطة الإلهية قد اختُزلت في إمبراطور واحد. وهذه الفكرة تحديدًا هي التي ترفضها النصوص النبوية، لأنها تقيم علاقة مباشرة بين الغطرسة الدينية والسقوط السياسي.

في سفر إشعياء إشارات واضحة إلى رفض هذا التعالي الرمزي. ففي خطابه عن ملك آشور يقول النبي: «أعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه» (إشعياء 10: 12). هذه العبارة تحمل نقدًا مباشرًا للرموز التي جعلها الملك علامة على رفعة عينيه وتعاليه. أما في سفر صفنيا فتأتي الإدانة أشد وضوحًا: «يمد يده على الشمال ويُبيد أشور» (صفنيا 2: 13)، وهو نص يشير إلى أن العقاب جاء بسبب تحول آشور إلى رمز تكبّر يتجاوز حدود الإنسان أمام الإله.

ومن أبرز الرموز التي ساهمت في تكوين الهوية الدينية الآشورية تمثال اللاماسو، أي الكائن الحارس ذي الجسد الحيواني والرأس البشري. ورغم أن أصله يعود إلى التقاليد الحورية–السوبارتية، فإن الآشوريين

أعادوا تشكيله في صيغة ضخمة مهيبة، ووضعوه على مداخل القصور والمعابد للتعبير عن القوة الإلهية المرافقة للملك. ومع الوقت تحوّل اللاماسو إلى رمز للتفوّق الروحي الذي يصاحب التوسع العسكري. وتظهر نبرة التحدي الديني واضحة في نقوش تظهر الملوك يقدمون القرابين أمام هذه الكائنات، وكأنها أصبحت جزءًا من قبة العظمة السياسية.

لكن سفر ناحوم يرى في هذا التلاحم بين الرمز والسلطة تعبيرًا عن انحراف ديني. فالمدينة التي ملأتها التماثيل والرموز تُسمّى في النص «مدينة الدماء» (ناحوم 3: 1)، ثم تُدان بعبارة قاطعة: «أقطع من بيت إلهك التماثيل المنحوتة والمسبوكة» (ناحوم 1: 14). لم تكن هذه العبارة رفضًا لصنع التماثيل بحد ذاته، بل نقدًا للرموز التي أصبحت جزءًا من مؤسسة حكم ظالمة، تُوظّف الرمز الديني لتثبيت العنف والبطش، مما جعل غضب الرب مرتبطًا بتحطيم هذه النقوش نفسها.

كما برزت في الأيقونية الآشورية رموز أخرى مثل شجرة الحياة، والأجنحة المنبسطة، والملائكة المجنّحة ذات الأوجه البشرية. ورغم أن هذه الرموز في أصلها كانت تحمل معنى الطهارة والخصب في التقاليد الحورية والبابلية، إلا أن إعادة استخدامها ضمن مشاهد طقسية تُظهر الملك وهو يمارس دورًا شبه كهنوتي جعلت منها رموزًا سياسية في المقام الأول. ومن هنا جاء وصف النبي ناحوم لسقوط نينوى على أنه تحطيم لمعبد السلطة، وليس مجرد تدمير لمدينة؛ إذ يقول: «أجعله قبرك لأنك صرت محقرًا» (ناحوم 1: 14)، في إشارة إلى أن الرموز التي منحت آشور هيبتها تحولت إلى شاهد على هوانها.

وتبرز الرموز المستخدمة في الحروب الآشورية عنصرًا إضافيًا أثار النقد الديني. فقد كانت الرايات الآشورية محملة بالنجمة الثمانية المجنّحة، وهي رمز حوري في أصله، وتحوّلت عند الآشوريين إلى شارة عسكرية ورمز لمباركة الآلهة للغزو. هذا الدمج بين الرمز الروحي وآلة الحرب المدمرة جعل النصوص النبوية تصف آشور بأنها أداة بطش لا تعرف الرحمة. ولذلك تأتي النهاية في سفر ناحوم بشكل يتجاوز مجرد الهزيمة العسكرية، إذ يعلن النبي: «ليس جبر لكسرك» (ناحوم 3: 19)، أي أن خرابها النهائي هو تصحيح روحي قبل أن يكون حدثًا عسكريًا.

إن نقد الرموز الدينية في النصوص النبوية لا ينفصل عن نقد السلوك السياسي، بل يتقاطع معه. فحين يستعمل الملك رمزًا سماويًا لشرعنة عنفه، يصبح الرمز ذاته موضوعًا للغضب. وهذه العلاقة بين الرمز الديني والسقوط السياسي تكشف أن مشكلة آشور لم تكن في قوتها، بل في الطريقة التي جعلت بها رموزًا مستعارة من حضارات أخرى جزءًا من خطاب يبرر التوسع والإخضاع. ولذلك جاء سقوطها، في الوعي الديني، باعتباره إلغاءً لهذه الرموز وتحطيمًا لمصدر تكبّرها.

وهكذا يصبح فهم المرحلة الآشورية الأخيرة مستحيلاً دون دراسة الرموز التي رفعتها، وكيف تحولت تلك الرموز من شعارات قوة إلى أدلة إدانة. وفي ضوء الآثار المكتشفة التي تُظهر دمار المعابد والقصور المحفوظة باللاماسو والأقراص المجنّحة، يبدو أن نبوءات الأنبياء لم تكن بعيدة عن الحقيقة التاريخية، بل كانت تفسيرًا أخلاقيًا لصور الخراب التي عُثر عليها في نينوى وآشور. فالسقوط الذي بدأ بتحطيم الرموز انتهى على الجدران بزوال الدولة التي اعتمدت عليها.

يبرز من هذا التداخل بين الرواية الدينية والرواية التاريخية أن سقوط آشور لم يُنظر إليه فقط كحدث سياسي، بل كحدث أخلاقي. فقد كانت الدولة الآشورية دولة تقوم على الترهيب، استخدمت التهجير القسري، وفرضت الجزية بقسوة، وسلبت الشعوب ممتلكاتها. ولذلك ترى النصوص التوراتية أن نهاية آشور كانت نتيجة طبيعية للظلم الذي مارسته. ومن هنا يمكن فهم التهليل الذي يصوّره سفر ناحوم عند سماع خبر سقوطها، فالشعوب التي عانت من حملاتها رأت في دمارها راحة بعد خوف طويل.

وبالعودة إلى الآثار، نجد أن سُقوط نينوى كان بداية النهاية، ولم يُعد بناؤها كعاصمة بعدها، بل انتقلت السلطة إلى بابل وإلى مراكز جديدة في الشرق الأدنى، مما جعل نبوءة «ألا يُزرع من اسمك في بُعد» تتحقق ليس روحيًا فقط، بل تاريخيًا أيضًا. لم تعد آشور قوة سياسية، ولم تُبعث من جديد، ولم تستطع أن تؤسس دولة لاحقة تحمل اسمها، رغم وجود سكان من أصول آشورية لاحقًا. فالسقوط هنا لم يكن سقوط مدينة فقط، بل سقوط منظومة كاملة.

إن التقاء النصوص الدينية مع الأدلة الأثرية في موضوع سقوط آشور يخلق صورة متكاملة تُظهر كيف أن الإمبراطوريات التي تتوسع اعتمادًا على العنف وحده تحمل في داخلها بذور انهيارها. ويتيح هذا الجمع بين الروايتين رؤية أكثر عمقًا لموقع سقوط آشور في الذاكرة التاريخية، باعتباره مثالًا صارخًا على أن القوة التي تُبنى على الظلم لا تستمر، وأن النبوءة التي تحدثت عن نهايتها لم تكن بعيدة عن طبيعة الأحداث نفسها، بل جاءت كقراءة أخلاقية لما كان يحدث على الأرض

العنف الآشوري: سياسة دولة وأداة لبناء الإمبراطورية

يُعدّ العنف في الإمبراطورية الآشورية القديمة ظاهرة متجذّرة في بنية الدولة، وليس مجرد سلوك فردي للملوك أو القادة العسكريين. فقد نشأت الإمبراطورية الآشورية في سياق إقليمي مليء بالصراع السياسي، ما جعل القوة العسكرية وسيلة البقاء الوحيدة. وبمرور الزمن تحوّل العنف إلى أداة مؤسساتية مرتبطة بسلطة الملك وتصور الدولة لذاتها، حتى أصبح عنصرًا مكوّنًا في خطابها السياسي والديني. ومن خلال تحليل النقوش الملكية والآثار المكتشفة في نينوى ونمرود وآشور، يتضح أن تعامل الآشوريين مع العدو كان يقوم على مبدأين أساسيين: الردع عبر الرعب، وإعادة تشكيل المجتمعات المهزومة عبر التهجير والسيطرة الإدارية.

اعتمدت الدولة الآشورية على ما يمكن تسميته بسياسة "العقاب النموذجي"، وهي آلية تقوم على إيقاع عقوبة شديدة بمدينة واحدة بهدف ردع المدن الأخرى. تُظهر النقوش الملكية أن الملك كان يقدّم نفسه بوصفه منفّذًا لإرادة الآلهة، وأن عقابه للعدو هو "عدالة إلهية" تمارس عبر القوة المسلحة. هذا الخطاب أعطى للعنف طابعًا شرعيًا، وحوّل عملية تدمير المدن أو قتل الزعماء إلى طقس سياسي لا مجرد عمل عسكري. وقد انعكس ذلك على المعاملة التي تتلقاها المدن التي تقاوم، إذ يتم إحراق أسوارها وقصورها، وإسقاط هياكلها الدينية، ثم إفراغها من سكانها بواسطة الترحيل القسري إلى مناطق أخرى داخل الإمبراطورية. وبذلك يتحول العقاب من حدث عسكري إلى عملية إعادة تشكيل ديموغرافي تهدف إلى محو القوة الاجتماعية لتلك المدينة.

وتُعد سياسة التهجير الجماعي من أبرز آليات السيطرة في الإدارة الآشورية. لم يكن التهجير عقوبة عابرة، بل كان أداة مقصودة لإعادة توزيع السكان بطريقة تُضعف المناطق المتمردة وتُقوّي المراكز الآشورية. وبحسب النصوص المسمارية، نُقل آلاف الأسرى من سوريا والأناضول وأرض الحوريين، ومن إسرائيل وفلسطين، ومن بابل وغيرها. وكانت هذه المجموعات تُدمج قسريًا في المجتمع الآشوري، فتعمل في مشاريع البناء والزراعة، وبذلك تصبح جزءًا من اقتصاد الدولة. أدّى هذا التهجير الممنهج إلى تفكيك هويات جماعية كاملة، وإضعاف اللغات والصناعات المحلية، وهو ما يجعل المؤرخين اليوم ينظرون إلى هذه السياسة بوصفها شكلًا من "الهندسة الديموغرافية" المقصودة.

أما جانب العنف الجسدي، فيظهر بوضوح في النقوش التي تصف كيفية التعامل مع القادة أو المتمردين بعد سقوط مدنهم. تُصوّر الجدران في نمرود ونينوى مشاهد لقطع رؤوس الزعماء، وتعليق الجثث على الأوتاد، وحرق بعض الأسرى، وسوق الآخرين بسلاسل حديدية. ورغم أن بعض هذه المشاهد يحمل عناصر مبالغة أدبية، فإن وجودها في الفن الرسمي يدل على أن العنف كان جزءًا من صورة الملك المثالية. فالملك الآشوري كان يُفترض أن يكون "قاهر الأعداء"، و"مُخضع الشعوب"، و"سيف الآلهة على الأرض". وهذه الألقاب ليست مجازات شعرية، بل جزء من مفهوم السلطة ذاته.

يُضاف إلى ذلك البعد النفسي للعنف، وهو ما يمكن تسميته "الحرب الرمزية". إذ كانت القصور الآشورية تزيَّن بنقوش تُظهر الملك وهو يذبح الأعداء أو يضع قدمه على أعناقهم، ما يجعل كل من يدخل تلك القصور، سواء من الحلفاء أو الخصوم أو الوفود الدبلوماسية، يواجه رسالة واضحة: قوة الملك غير قابلة للتحدي. وبذلك تحولت الأيقونية السياسية إلى وسيلة للهيمنة عبر الخوف. كما كانت الدولة تترك في المدن المدمرة ألواحًا حجرية تصف كيفية سقوطها وعقوبتها، لتكون بمنزلة تحذير دائم للشعوب المجاورة.

إن السؤال الذي يشغل الباحثين اليوم هو ما إذا كان الآشوريون أكثر عنفًا من غيرهم من الحضارات القديمة، أم أن الفرق يكمن في وفرة مصادرهم. فبعض الآراء ترى أن المبالغة تظهر في النقوش لأنها

جزء من خطاب دعائي يستهدف الملوك المنافسين. بينما يرى آخرون أن اتساع الإمبراطورية الآشورية وعدد الشعوب الخاضعة لها جعل حجم العنف بالغًا، حتى لو مارست دول أخرى ممارسات مشابهة. ما يميز الآشوريين هو أن دولتهم جعلت من العنف عنصرًا بنيويًا في هويتها؛ لم يكن العنف مجرد وسيلة حرب، بل أداة سياسية وإدارية ورمزية. وهذا ما يفسر لماذا بعث سقوطهم صدى كبيرًا في النصوص الدينية، وخاصة في التوراة، التي اعتبرت أن الدولة التي مارست "رعب السيف" سقطت بسيف التاريخ ذاته.

وبالنظر إلى هذه الصورة، يتضح أن تعامل الآشوريين مع العدو لم يكن رد فعل ظرفي، بل كان ممارسة متعمدة تُبنى عليها سياسات الدولة. فعندما تقاوم مدينة ما، لا يُعاقب مقاتلوها فقط، بل يُعاقب وجودها نفسه. وعندما يثور ملك تابع، لا يُقتل وحده، بل تُنزع شرعية حكمه من جذورها عبر محو معالم مدينته. هذا المنطق جعل الإمبراطورية تبدو قوية لفترة طويلة، لكنه في الوقت ذاته خلق بيئة من الأحقاد التاريخية التي ستنقلب عليها في نهاية المطاف.

وبهذا يصبح العنف الآشوري أحد أهم العوامل التي فسّرت سقوط الإمبراطورية نفسها. فالدولة التي اعتمدت سياسة الرعب العام صنعت شبكة من الأعداء ينتظرون لحظة الضعف، وعندما ظهرت القوى البابلية والميدية في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وجدتا أن الإمبراطورية الآشورية محاطة بشعوب راكمت ذاكرة من الألم والخوف، مما جعل سقوط نينوى وآشور حدثًا حاسمًا بدا لكثير من الشعوب وكأنه عدالة تاريخية

وهكذا يتبين، عبر تتبّع مسار الحضارات في شمال الرافدين، أن التاريخ لا يصوغ سطوته بالقوة وحدها، بل بالعمق الإنساني الكامن في ذاكرة الشعوب. فقد رأينا كيف أن الإمبراطوريات التي قامت على السيف، مهما بلغ اتساعها وتألّق رموزها، تحمل في جوفها بذور أفولها، وأن الشعوب التي سُلبت أرضها ورمزها وثقافتها تظل شاهدة على الحقيقة التي لا تُمحى: أن العدالة التاريخية، مهما تأخرت، تمتلك قدرة عميقة على كشف الزيف وإعادة التوازن. لقد حاولت آشور، بقوتها العسكرية ورموزها المنتزعة من الحضارات الأقدم، أن تعيد كتابة هوية المنطقة، لكنها اصطدمت بثبات الذاكرة الحورية–السوبارتية، وبقوة النصوص النبوية التي رأت في سقوطها حتمية أخلاقية قبل أن تكون هزيمة عسكرية. ومع انطفاء نينوى وانهيار عروشها، بقيت آثار الشعوب التي سبقتها شاهدة على أن الحضارة تُبنى بالإبداع، أما الهيمنة فمصيرها الزوال. وفي ضوء هذا المشهد، يصبح كتابنا هذا دعوة إلى فهم التاريخ بوصفه حوارًا بين الذاكرة والقوة، وإيمانًا بأن الحقيقة، مهما غُيّبت، تجد طريقها الدائم إلى الظهور.